قُلوبٌ مَسْجونة

مجموعة قصصية

إيهاب بديوي

الطبعة الأولى

2021م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد

عنـــوان الكتاب: قلوب مسجونة

اســـم المـؤلف: إيهاب بديوي

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقـم الإيـــداع: 2593 / 2021

الترقيـم الدولي: 5 - 79 - 6749 - 977 – 978

تـصميـم الغلاف: م. رقية إبراهيم

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

قُلوبٌ مَسْجونة

مجموعة قصصية

إيهاب بديوي

2021

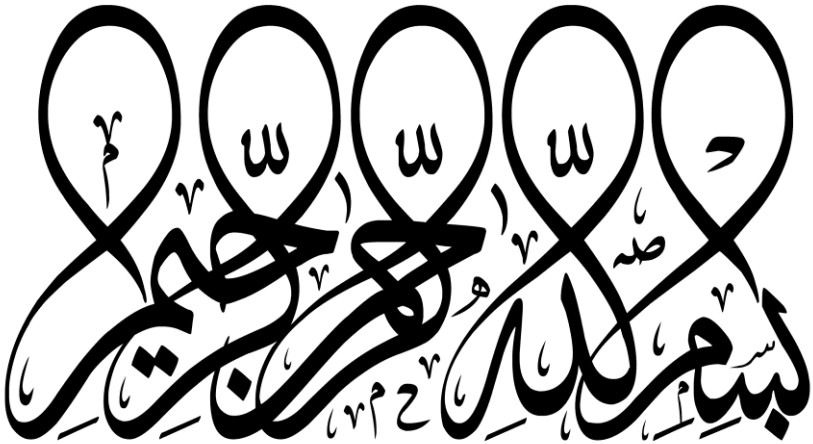
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كلّ قلبٍ أَحبَّ حتّى العِشْق. ثم فَارَق. وظلّ سَجينَ مشَاعِره.. يتمنّى لحظَة لقاءٍ واحِدة. مُستَحيلة...

إلى صديقي المُبدع.. الذي راح ضَحيّة حُلمٍ لم يَكتمِل. افترسَ قلبَهُ حتّى النّهاية. إليْكَ في مداركَ الأبَدي. لعلّكَ تكُون قد هدأْتَ قليلا. وبدأتَ حُلمًا جَديدا.. أعرفُ أنكَ تراني وتَسمعُني بِقدر حُبّي الحقيقي لك. وألَمي على فِراقك المُبكّر. هو جُرحٌ لن يَندملَ أبدًا.. يا أحْمَد قاصِد...

إيهاب بديوي

****

أيام الحظر..كل يوم قصة جديدة
مررنا بتجربة عالمية لم نشهدها من قبل. وكان القلم هو شريك
الحظر الإجباري. فكانت هذه المجموعة القصصية.
من بين قصصها..قصة تعبر عن تجربة شخصية مع الكورونا..
لكل من مر بهذه التجربة المريرة. أهدي هذه المجموعة

دوائر مُتحركة

لم تستطع سبع سنوات من التناسي أن تمحو من قلبه الجريح لحظة ألم واحدة اجتاحته حين نظرَت له بلامبالاة وهي تلقي بحبه لها على طول أحلامه التي نسجها وهي موجودة فيها. لم ينس أبدا كيف استند على حائط المدرج الشمالي الكبير بعد أن اعتقد أنه المكان المناسب ليعترف لها بحبه الدفين الذي بدأ مع أول نظرة لها في العام الأول للجامعة. سبع سنوات لم تهدأ داخله النار المشتعلة. رغم أنه نجح في حجبها عن كل من حوله بعد ستة أشهر من العذاب المتواصل. لا يعرف سببا لرفضها. كانا أصدقاء. وكان يمتلك تكاليف الزواج بحكم أن والده الطبيب الذي قضى نصف عمره في الخليج قد كون ثروة كافية لتحقيق أحلامه وأحلام شقيقه وشقيقته. لم يصلها منه رد بعدها. كل ما عرفه أنها تزوجت بعد أربع سنوات وتقيم في جنوب المدينة. في أحد التجمعات السكنية الحديثة. وزوجها يعمل مهندسا في شركة قرب المنزل. مثلها أيضا..

لكنه لم يعمل كمهندس. طلب من والده أن يدير مشروعه الخاص فساعده على افتتاح شركة لاستيراد وتجارة قطع غيار السيارات. مارس شغفه وعشقه للسيارات وصب فيها كل رغباته في التناسي. وصم أذنيه تماما عن إلحاح والديه له ليتزوج. فقدت الكلمة معناها بالنسبة له. ولم

يفلح معه ضغط أو تحذير. استقل بالفعل ماديا. واشترى شقة أخرى غير التي اشتراها لها والده كي يتخلص من نظرات اللوم التي لا تنتهي. استقل عن أسرته الصغيرة وملأ وقته بالعمل حتى أصبح يستهلك اليوم بالليلة. حارب هوسه لمعرفة سبب رفضها له. وهي غير مرتبطة بشخص آخر. حتى قرر أن يواجهها مرة أخيرة.

تأنق. وضع الرائحة التي كانت تداعبه دائما بأنها أجمل ما فيه. نظر في المرآة المجاورة لمدخل الشقة. سيذهب لمقر عملها في نفس الشركة التي يعمل بها زوجها. يعرف كل تفصيلة في حياتها. سمع صوتا يناديه من المرآة قبل أن يخرج. تردد في العودة. لكنه قرر أن يجيبه:

-إلى أين العزم يا صديقي؟

-أنت تعلم جيدا.

-وما الذي اختلف هذه المرة لتتخذ قرارا نهائيا بذلك.

-أريد أن تستمر حياتي.

-فلتستمر.

-لا يمكن.

-يجب أن أنتهي منها أولا.

-أقتلها.

-أنا لا أستطيع قتل حشرة.

-هي أقل من حشرة.

-أقتلها.

-لم تفعل لي ما يستلزم قتلها.

-قتلت قلبك. واغتالت مشاعرك. ووضعتك على قارعة الطريق. وتزوجت من هو أقل منك. تريد أن تهينك.

-ولهذا يجب أن ألتقيها.

-أقتلها.

-أمامي حياتي كلها. لماذا أضيعها من أجل عاهرة.

-لا تقل عليها ذلك.

-أقتلها. لتحيي قلبك.

نظر طويلا لنفسه في المرآة. ثم قضى على تردده. وذهب مباشرة إلى مقر عملها.

ظل في سيارته منتظرا حتى خرجَت من باب الشركة. مباشرة سار خلفها قليلا وهي تتحرك في اتجاه سيارتها. قد درس تحركاتها عشرات المرات من قبل. بمجرد أن فتحت باب سيارتها. هاجمها من الخلف وضربها على رأسها فسقطت مغشيا عليها. وضعها في سيارته وطار بها قبل أن يتجمع الناس من حولها..

ظل جالسا أمامها حتى استفاقت. نظرت حولها في رعب وهي تحاول استجماع ما حدث لها. استقرت عيونها عليه. جالسا أمامها. مبتسما. حاولت التحرك. فوجدت يديها وقدميها مقيدتين. ارتعدت أطرافها كلها

بعد أن تأكدت من شخصيته أخيرا. وضع يده على رأسها بحب. فنهرته بعنف:

-ماذا تريد مني.

-لا شيء.

-لماذا اختطفتني إذن.

-لم أختطفك. فقط أريد ان أتحدث معك.

-اسمعني. أرجوك. لو تريد مالا. سأتحدث مع زوجي ونعطيك كل ما تريد.

-أية أموال؟ وهل تعرفين أنني في حاجة إلى مال من أحد؟

-هل ستغتصبني؟

نظر لها طويلا. ثم انفجر في الضحك حتى كاد أن يسقط على ظهره. ثم هدأ. وأجابها:

-لا أراك امرأة تستحق. ولم أنظر لك كامرأة طوال حياتي. كنت أحبك. ولا زلت. بل أعشقك. وأكثر. لن أغتصبك. اهدئي. أجيبيني على سؤال واحد. وسأتركك بعدها.

-ماذا تريد.

-هل كنت على علاقة مع أحد آخر خلال الجامعة.

-لقد كنا أصدقاء . لو تذكر. ودائرة علاقاتنا تعرفها جيدا.

-لماذا رفضتيني إذن؟

-لم أرفضك. ولم أقبلك. ولم تكن ضمن اهتماماتي العاطفية من الأساس.

-ألا تعلمين من أنا؟

- زميل. لم تكن حتى صديقا.

-هل نسيتي وقفاتنا ورحلاتنا وأنشطتنا الكثيرة معا.

- تصدق. لم ألاحظ أبدا ذلك؟ فعلا. أنت معي في كل أنشطة الكلية. كيف لم ألاحظك.

-أنت تحبينني. لقد اعترفتي بذلك.

-متى! لا أذكر.

-في رحلة العام الأخير لنا في الدراسة . قلتي لي أنك تحبين طريقتي في الرسم الهندسي. رفعت حاجبيها متعجبة بشدة. قالتها لكل الموجودين. ليس هو فقط. مجرد مجاملة. حاولت استجماع شتات ذهنها. ثم تحدثت:

-اسمعني. أعترف أنني أحبك. لكني كنت مخطوبة منذ زمن طويل.

-أنت خائنة إذن.

-ليس بيدي يا صديقي. لا تعلم كم ليلة كنت أبكي بسببك. لكن والدي صمم على الزواج.

-والدك ميت ونحن في الفرقة الأولى.

ارتبكت قليلا تلملم أطراف أفكارها. ثم استجمعت شتاتها واستكملت حديثها:

-بالضبط. هذا هو السبب. لقد كانت وصية والدي. لم أستطع أن أخالفه. ودست على قلبي بسبب ذلك.

ابتسم بهدوء. ثم اتسعت مساحة فرحته مع استيعابه لكلماتها. اقترب منها حتى أصبح ملاصقا لها. ربت على وجهها وشعرها مرة أخرى. فك قيودها. وابتعد عنها قليلا وهو يتحدث:

-يكفيني هذا. يا حبيبتي. أنت بريئة من الخيانة. بل أنت أعظم من رأيت وفاءً. تعالي أعيدك إلي سيارتك. يا حبيبتي....

أفاق على وقع ضربة عنيفة على رأسه. وضحكات متتالية من أقرانه. انتبه إلى المكان. إنه المدرج الشمالي ذاته. نظر حوله يتفحص الشلة. إنهم جميعا كما هم. في العام الدراسي الأخير لهم بالجامعة. وهي بينهم. تقول بعفوية وبراءة:

-لقد أحببت كل رسوماتكم الهندسية!

2020-4-1

****

نادية

أخذَت نفسا عميقا تسترد به لهفتها الواضحة على رانيا. لا تعلم كيف تستطيع تنبيهها إلى أن نهاية علاقتها بأمجد ستكون نهاية مأساوية. لم تجد بدّا من مجاراتها في انجرافها السريع والحاد في تلك العلاقة الشائكة المعقدة من وجهة نظرها. في تلك الليلة الباردة من نهايات فبراير للعام الأخير لها في الجامعة. طلبت منها رانيا مرافقتها لأن أمجد يريد لقاءها في مكانهم السري لأمر هام. لم تتردد نادية في الموافقة هذه المرة. هي متأكدة من أن العلاقة بين صديقتها وصديقها قد تعدت كل الحدود الأخلاقية. وتعدت حتى القُبل البريئة والأحضان السريعة. لهفتها على معاينة المكان السري لا تقل عن رغبتها الداخلية في لعب دور الناصحة الأمينة. وأن تعيش دور صاحبة الأخلاق التي ترفض الإنزلاق إلى علاقات غير شرعية. شيء ما في أعماقها طلب منها أن تتأنق بصورة مبالغ فيها. ليس طمعا في نظرة إعجاب مسروقة من أمجد ترضي بها غرورها. لكن لأن رغبة جامحة تجتاحها لترضي الأنثى داخلها. هي أجمل من صديقتها لا شك في ذلك. لكنها لم تحظى طوال فترة الدراسة بإعجاب دائم. أو بعلاقة عاطفية حقيقية. رغم أنها قد تعرضت لمحاولات تقرب كثيرة. لكن ردودها الجافة وشعورها المسيطر أن القلب منطقة محرمة ممنوعة من اللهو قد سيطر تماما

على أفعالها. تعجبت رانيا من رؤية صديقتها متأنقة بهذه الطريقة. حتى أنها ارتدت فستانا ورديا على غير عادتها. التي ظلت تحافظ عليها طوال حياتها الجامعية. جينز وتي شيرت فوق حذاء رياضي. لم تغير تقريبا ذيل الحصان الذي فرضته على شعرها. بل ووضعت ماكياجا خفيفا لكنه أبرز جمال وجهها وعينيها. تفاجأت رانيا بتأنق صديقتها. فابتسمت لها. وغمزت لها بإعجاب. ثم سارتا معا.

كان أمجد في انتظارهما عند المكان السري الذي فاجأ نادية. الحديقة القريبة من المدينة الجامعية حيث تقطنان. رغم قرب الحديقة منهما. إلا أنها لم تتوقع أن تكون كل المغامرات العاطفية التي روتها لها رانيا. قد تمت في هذا المكان العام. مع غروب الشمس دخل ثلاثتهم يتبادلون السخرية من بعض أحداث اليوم. ورانيا تتأبط ذراع أمجد بحميمية شديدة. تكاد تحتضنه في الحقيقة. وصلوا إلى مكان منزو في ركن من أركان الحديقة. تنسدل فيه فروع الأشجار حتى الأرض. وتدور الأفرع حول نفسها في حلقات محكمة لتكون فيما بينها فراغات تتسع لفردين متلاصقين. وهو المطلوب تماما بالنسبة للعاشقين. لم تفهم نادية دورها في هذه المتاهة العقلية. بهدوء وثقة طلبت منها صديقتها أن تنتظرهما قليلا. وأن تنبههما عند اقتراب أي أحد. قبل أن ترفض أو توافق. اختفت رانيا مع أمجد في متاهات الأشجار. وجلست هي على مقعد قريب تستوعب الموقف. ما الذي انساقت إليه؟ ما الذي دفعها فضولها لتصل إليه؟ ماذا تستفيد من سماع

أصوات غريبة تمتزج بين النشوة واللهفة والمعاناة. اقتربت قليلا من مكان الأصوات. رأت شبحين في الظلام يمتزجان حتى الإتحاد. لا شك أنهما يمارسان الجنس الكامل. لا شك أن صديقتها المقربة قد كذبت عليها منذ فترة طويلة وغرقت في الحب المحرم. لكن. لماذا الآن؟ لماذا أرادت أن تجرها إلى أقسى ما كانت ترفضه. لماذا شوّهت ما تبقى من علاقتها بها؟ أم تراها تستهدف شيئا آخر. ارتعد جسد نادية بشدة. وانهمرت دموعها وهي ترى الشبحين يتوحدان وترتفع أصوات اللذة منهما. لم تعد تحتمل. أسرعت إلى حارس لمحته قريبا وهم يدخلون إلى الحديقة. أخبرته بما يحدث. سمعته ينادي حراسا آخرين ويتوجه إلى الشجرة التي وصفتها. وهي تخرج مسرعة من الحديقة. عادت سريعا إلى المدينة الجامعية. جمعت أغراضها من الغرفة المشتركة التي تقطن فيها مع صديقتها. خرجت من المدينة كلها وعادت إلى منزلها في مدينة صغيرة قريبة ترتجف من الخوف والفزع. أخبرت أهلها أنها مرضت فجأة وعادت كي لا يزيد عليها المرض. ظلت أصوات اللذة المحرمة تخترق سكونها النفسي دون انقطاع. مع خيالات متكررة لشكل رانيا وأمجد وهما عاريان يسيران إلى الشرطة في فضيحة كبيرة. مر أسبوع كامل وهي ترفض تماما الإجابة على جميع اتصالات زملائها. حتى فوجئت في نهاية الأسبوع برانيا تحضر لزيارتها. ظنت أنها ستلوم عليها وتروي لها الكارثة التي حدثت. لكنها فوجئت بها تضحك بشدة. وتخبرها أن أمجد يعرف أحد الحراس جيدا. ولم يحدث لهما أي شيء. وأنها تقدر خوفها وهروبها. خرجت

رانيا تضحك بسخرية ممزوجة بخباثة واضحة. بينما تعبث شياطين الإنكار في عقل نادية. التي توجهت سريعا إلى مرآتها وضربتها بعنف. فظهر انعكاس وجهها في المرآة المحطمة. ممزقا إلى ألف قطعة..

2020-4-2

****

الكوبري الحديدي القديم

الفرق بين السجن والحرية. كالفرق بين الواقع والخيال. حريتك في نجاحك في دراستك. وإلا ستظل حبيس حدود هذا الكوبري الذي يخرجك من قريتنا الصغيرة إلى الطريق السريع الذي يصل في النهاية إلى دمنهور. أو الحرية.. كلمات جدّه صابر لم تفارقه أبدا طوال حياته. ولم يسمع سواها تتردد في أذنيه وهو يمتطي صهوة قطار الضواحي الفقير المزدحم ليمخر عباب المسافة التي تفصل بين قريته المنسية في قلب الريف وحلمه الكبير بالخروج من دائرة المستقبل النمطي المرتبط بالفأس والنورج والمحراث والشادوف وبعض الماعز وربما بقرة وثور. وأحلام تولد ميتة على عتبة الكوبري الحديدي القديم.

وصل إلى المدينة الصغيرة القابعة في مكانها منذ قديم الزمان. قرأ كثيرا عن تاريخها وحروبها ودورها في سلم الحضارة. لكنه لم ينبهر بها. هدف واحد يرجوه ويخطط له عند اختياره لكلية الزراعة. ولا بديل عنه. ولا درب سواه. التفوق. والحصول على جيد جدا على الأقل. للتعيين في الكلية. أو على أقل تقدير. التعيين في أحد مراكز البحوث. والخروج من هذا السجن الأبدي المفروض على إخوته ووالده وأجداده وعائلته كلها في تاريخها المعروف.

تعوّد على ركوب السيارات المكشوفة منذ أنهى الإعدادية والتحق بالمدرسة الثانوية التي تبعد عن بيتهم بخمسة كيلومترات. أحيانا كثيرة كان يضطر إلى السير على قدميه ذهابا وعودة. لأنه لا يملك القروش القليلة التي يدفعها أجرة السيارات المتهالكة التي تقضي عقوبتها الأخيرة في هذه الطرق التي تكسوها طبقة صغيرة من الأسفلت تكاد لا تظهر بين الندوب والحفر والمطبات التي تنمو عليها. أهم شيء في بيوت الريف وجود الخزين من الطعام الذي يكفي الأسرة بين مواسم الحصاد. مع وجود سيولة مالية قليلة للطوارئ. لهذا قد تمر أشهر لا يوجد في البيت قرش واحد. وفي حالة الضرورة القصوي يتم بيع الطيور أو حتى إحدى الغنمات في سوق المدينة الأسبوعي لتوفير السيولة.

قطع وصول القطار إلى محطة دمنهور تأملاته الغارقة في تدبر الماضي. ابتسم كثيرا لهذا المعنى. نعم. الماضي. لاشك. سيصبح كل ذلك ماضيا. كأن لم يكن. وصل بحقيبته القماشية البالية إلى الكلية أولا. سار مسافة طويلة لتوفير ما يمكن توفيره. دخل يتأمل الجدران والأبواب والوجوه. هذه قاطرة العبور إلى المستقبل. تحقيق الأحلام يقترب ممتطيا الأرض التي يقف عليها الآن. لا شك أنه واقع. حصل على جدول الدراسة وانضم للمحاضرة للتعريفية الأولى. تأمل وجوه الفتيات والشباب المشاركين له في المدرج الصغير. هي في الحقيقة مبني دراسي صغير ملحق بمدرسة الزراعة حتى يتم إنشاد المبني الجديد. لا تهم بالنسبة له هذه الفوارق. على العكس. هذا

أفضل. العدد الصغير من الطلاب سيتيح له التفوق وتحقيق الحلم. هدفه يقترب. الدنيا تقترب في عقله وقلبه. ومستقبله. تأمل في الوجوه. أغلبها مثلها قد حفر الزمن والعمل في ثناياها أخاديد ومراكز تجمع. وكونت طبقات متتالية من الخشونة لا يمكن إزالتها بسهولة. العمل. أخذ نفسا عميقا يغوص فيها داخل ذاكرته المتحفزة. أول وعيه كان مساعدة والديه في زراعة الفدان الذي يمتلكونه في زمام القرية. إرث والده عن جده. في المواسم كان يخرج للحصول على يومية في مزارع كبيرة أو في أرض جيران محتاجة. تكفي مصاريفه ورسوم مدرسته. وكثيرا ما كان يترك ما يحصل عليه في يد والدته لتشتري به احتياجات المنزل في مواسم الجفاف. شقيقه الأكبر استغنى عن الدراسة بعد الإعدادية واندمج في العمل الزراعي. كذلك فعل شقيقه الذي يصغره. الفتاتان اللتان تفصلانه عن شقيقه الأكبر قد تزوجتا. بعد أن نحلا وبر والده. أو هم جميعا في الحقيقة. كانتا تخرجان للعمل ايضا. المهم أنهما قد تزوجتا في القرية معهم من أولاد عمومة. كما فعل شقيقه الكبير. كل شيء يسير تقليديا روتينيا في محيط العائلة. كما كان يحدث منذ آلاف السنين. أقسم له جده مرة أن الشادوف الذي يستخدمونه في رفع المياه من الترعة القريبة لري أرضهم هو إرث من جده الفرعوني. هكذا قال له أجداده. ليتهم ورّثونا ذهبا أو فضة. لا شقاءً بلا نهاية.

إنتبه على سؤال من الدكتور عن اسمه. عرّف نفسه مرتبكا. انتهى يومه الأول بعد أن سأل عن طريقة قالها لها زميل سابق للحصول على معونة مالية وعدم دفع المصاريف. عرف أن المتفوق سيعفى من المصاريف دون الحاجة إلى شهادة فقر كما يطلقون عليها. بل وسيحصل على مكافأة مالية. ازداد الأمر إثارة بالنسبة له. وتحديا. بعد انتهاء اليوم الدراسي. خرج يسأل عن عنوان أعطاه له والده. لِقريب لهم يقطن في المدينة. قد استطاع توفير غرفة له في إحدي شقق الطلبة قرب الكلية بإيجار قليل. ووفر له عملا في محل قريب لتجارة الحبوب. سار على الدرب الجديد. في كل الأحوال. قد استطاع تجاوز الكوبري الحديدي القديم..

2020-4-3

****

ومن الشّوق رسولٌ بيننا

تعوّد على معاملة البنات مثل الشباب تماما. منذ دخل إلى الجامعة وقلبه مغلق بسبب علاقة مستحيلة مع جارة لهم تماثله في السن. علاقة خيالية لم تتحول إلى واقع في أي مرحلة من حياته. مجرد نظرات متبادلة عبر البلكونات القريبة استمرت طوال سنوات عمره حتى انعدمت مع اختفائها المفاجئ وانحسار وقوفه الكثير والطويل والمتكرر في البلكونة بعد دخوله كلية العلوم. عامان مرا وانتقل إلى الفرقة الثالثة بنجاح متوسط يناسب رغبته في الحصول على الشهادة والسفر فور تحديد موقفه من التجنيد. لم يكن بينه وبين أية فتاة في الدفعة حواجز مباشرة. بين صداقة حقيقية تكونت مع أغلبهن إلى مشاركة في جميع الأنشطة مع بعضهم. وحتى أصبح مخزن أسرار فتاتين تحبان زملاء آخرين. وتخبرانه بتفاصيل تطور مشاعرهما. واحدة فقط من جميع شلل الكلية كانت تؤثر فيه بطريقة مختلفة كلما رآها. في الحقيقة. منذ أول مرة رآها. وهي الوحيدة التي لم يتحدث معها على الإطلاق طوال سنوات الدراسة. خوفا من قلبه. وحرصا على حبه الوهمي لجارته القديمة. مر شهران من الدراسة في الفرقة الثالثة. في أحد السكاشن المتأخرة في موعدها. جاء وقوفه داخل المعمل مقابلا تماما لها. دون أن يخطط أو ينتبه لذلك. ارتبك للحظة كانت كافية لتلتقط غادة

طرف خيط المشاعر. ابتسمت بهدوء وهي تركز نظراتها عليه. بدأ يشك أنها تحينت الفرصة لتكون قربه في السيكشن. ازداد ارتباكه كأنه يواجه حديثا مع فتاة للمرة الأولى. لم يعرف ماذا يقول أو كيف يتصرف. بدا العرق واضحا على جبينه وتلاحقت أنفاسه. اتسعت رقعة ابتسامة غادة. وكأنها أرادت أن تثبت لنفسها شيئا ما. انسحبت في هدوء من أمامه فأتاحت له فرصة لتمالك نفسه. المرة الأولى التي يتملكه هذا الشعور القابض والمسيطر في الرغبة في الحديث مع فتاة دون أن يكون قادرا على ذلك. سألته صديقته المقربة عن سبب ارتباكه دون أن تلاحظ ظهور واختفاء غادة. تمالك أعصابه اخيرا وأخبرها أنه لم يفطر ويحتاج إلى طاقة. بالتأكيد يحتاج إلى طاقة تمده بالقدرة على تحمل وقع تلك النبضة الهائلة التي اجتاحت قوته وصبره وصلابته التي يبدو أنها وهمية في النهاية. خرج من السيكشن غير قادر على نسيان لذة تلك النظرة. نعم. لها لذة تعادل جمال مذاقات نظرات جارته المسروقة في مراحل مبكرة من حياته. لا. بل تزيد نظرات غادة عليها بمراحل. فقد كانت قريبة منه. يستطيع أن يشتم عبير القرب في عينيها. يستطيع أن يري الربيع يزهر في شفتيها. يستطيع أن يسمع صوت البلابل تشدوا ألحان الفرحة في وجنتيها. كل شيء مختلف هنا. كل شيء أجمل..

خرج يتأمل معالم الأماكن التي اعتادها طوال السنوات الثلاث السابقة. كل شيء مختلف. رأى المدرجات والأركان بشكل مختلف. الألوان الزاهية

تطغى على الصورة. اختفت الألوان القاتمة من المشهد. لم يستطع أن يجاري أصدقائه في ذلك اليوم. ولم يرغب في رؤيتها مرةأ. تملك منه شعور جارف بالرغبة في الإحتفاظ بمذاق تلك النظرة أطول فترة ممكنة. عاد إلى المنزل محلقا في عوالم خفية. خرج إلى بلكونته ليجلس مطولا لأول مرة منذ دخوله الجامعة. يتحين فرصة لرؤية جارته. يريد التأكد مما يحدث داخله. لكنه لم يحظ بتلك الفرصة. لم ينم مرتاحا في ليلته. تحوّل مذاق النظرة الإستثنائية إلى نار مشتعلة في المسافة بين قلبه وعقله. ذهب إلى الكلية في اليوم التالي مصمما على وأد الفتنة التي تستعر داخله بطريقة واحدة. اندمج مع أصدقائه وصديقاته كما لم يفعل من قبل. ارتفع صوت ضحكاته المصطنعة بطريقة أدهشت أصدقائه. حتى حان موعد السيكشن. وقف في مكانه المعتاد يرقب بنصف عين الداخلين. لم يراها. شعر براحة حقيقية. كلها أوهام مراهقة متأخرة لا شك في ذلك. غادة لا تختلف عن زميلاتها في شيء. هادئة رقيقة قليلة الظهور في الأنشطة المختلفة للجامعة. أنيقة بصورة ملفتة. ضحكتها مميزة جدا. لأنها نادرة الحدوث. بدأ ينتبه لشرح الدكتور. ويقلل من تأثره بالموقف. حتى اجتاحته ريح عاتية كونت إعصارا من الدرجة الخامسة حين سمع قلبه صوت نبضات قريبة يستطيع تمييزها جيدا. لقد عادت بربيعها وأزهارها وبلابلها وبريقها لتقف أمامه من جديد. وضح ارتباكه الشديد حين التقت نظراتهما مباشرة في عالم بيْني تكون في المسافة بين عينيهما هذه المرة. وكأنه قد دخل معها إلى عين

الإعصار وبدأت الدوامة تصعد به إلى ما فوق السحاب. ارتبك بشدة. ارتباكا حقيقيا. بركان المشاعر المكبوتة قد تفجر مرة واحدة في أعماقه. هي غادة إذن. لا يمكن أن يكون الأمر وليد اللحظة. لابد أنه كان يتكون في منطقة ما داخله طوال السنوات السابقة. أو طوال عمره. ضرب بيده على البِنش الذي يقف عليه ليسيطر على الطوفان داخله. أخذ نفسا عميقا وفتح عينيه ناظرا إليها. كانت ابتسامتها المشرقة التي تتابعه لحظة بلحظة تنقل له شعورا دافئا ليطمئن. محمولة على نظرات ساحرة لم يعد يستطيع مقاومتها. ولا يعيش في عالمها سواهما....

2020-4-4

****

حاول تفتكرني

هي أيام تبقت على نهاية التيرم الثاني للفرقة الرابعة. الرحلة العلمية الأخيرة في سنوات الدراسة التي ستجمعهم معا. بعدها امتحانات نهائية لا يجتمعون فيها تقريبا. للمرة الأولى منذ بداية التيرم تجتمع الدفعة كلها. لأداء امتحان عملي ميداني نهائي. مشاعر فياضة اجتاحت بعضهم. حتى أن فتاتين على الأقل قد ظهرت دموعهن بادية من فرط الحنين. رغم كل ما سيعانينه من سخرية الأصدقاء المقربين. أعدوا وليمة من الساندوتشات اتفقوا عليها مسبقا. كل مجموعة أحضرت كمية هائلة حتى تكوّن تل من الطعام والمشروبات والمقرمشات أثار حفيظة بعضهم ممن لم يستطيعوا المشاركة لأسباب مادية. لكن الأمر لم يكن مثار تندر أو تركيز من أحد مثل المرات السابقة التي كانت تتسبب في عدم حضور بعضهم خجلا من عدم المشاركة. تبارت الفتيات لدعوة ماهر للجلوس بجوارهن. ليس لأنه الأكثر وسامة ولا الأكثر ثراءً. ولا حتى الأول على الدفعة الذي ضمن وظيفته كمعيد في الكلية. بل لأنه الأكثر مرحا وسخرية. ومشاركة في جميع الأنشطة. ولم يرتبط عاطفيا بزميلة تحدد له تحركاته وعلاقاته. هو حر طليق كالطير يحب من يشاء ويكره من يشاء. هذا مبدأه المعلن بكل صراحة. وهو ما أسعد كل فتيات دفعته. وبنَت جسورا من الثقة. مع مواقف رجولية

كثيرة حدثت طوال سنوات الدراسة تناقلتها الفتيات بينهن. نصّبوه قائدا غير معلن للدفعة. وسط مقاومة شديدة من بعض الحبيبة الذين يقتتلون على كلمة أو نظرة من أية فتاة. وبعض الشباب الذين يرون أنفسهم أجدر بالقيادة لأسباب مادية أو اجتماعية. جلس في النهاية بجوار إيمان. نظرت لجميع زميلاتها بشماتة بالغة. لكنه وقف مرة أخرى وأعلن أنه جلس بجوار دكتورة المستقبل باعتبار أنها إحدى الثلاثة الأوائل الذين أعلن القسم أنه سيتم تعيينهم. اعترضت الحسناء ماري بشدة على اعتبار أنها الأولى على الدفعة ومن حقها أن يجلس بجوارها. نظر ماهر لماري مبتسما وأخبرها أنه لا يستطيع الجلوس بجوار فتيات بهذا الجمال كي لا يجلس الشيطان معهما. بينما تعالت ضحكات جميع الشباب والفتيات بين تأييد وسخرية. غضبت إيمان بشدة لأن هذا تلميح إلى حقيقة تعاني منها طوال الوقت. ماري أجمل منها لا شك. وكثير من فتيات الدفعة أجمل منها أيضا. لأنها سمراء قليلا. رغم رشاقتها وثقافتها وقوة شخصيتها وانحدارها من عائلة عريقة. وتفوقها الدراسي المتميز. لكن الجمال يحكم في النهاية. زامت على ماهر وأعلنت له أنها لا تريده بجانبها. نظر لها بهدوء بعد أن تحرك الباص وهدأت أصوات الشباب. لم تستطع تفسير دمعة لمعت بوضوح على طرف عين ماهر. صمت تماما طوال فترة الرحلة حتى انتهت الزيارات. لم يتناول أي طعام مما شارك شخصيا في تجهيزه طوال الليل. وقف بجوار السائق في طريق العودة الطويل مترددا. دعاه الجميع لمجاورتهم. بينما كانت

عيون إيمان متعلقة به متعجبة من سلوكه منذ الصباح.. لم يستطع مقاومة رغبته الجارفة. أعطى شيئا لسائق الباص ثم حضر ليجلس بجوارها. كانت الأغاني التي يتم تشغيلها منذ الصباح شبابية حديثة ساهمت في إحداث فوضي عارمة طوال الرحلة. و قد طلب منه الدكتور مشرف الرحلة عدة مرات أن يحاول السيطرة على الأمر. لكنه أخبره أن الوقت لم يحن بعد. جلس بجوار إيمان دون أن ينظر إليها. بدأت الموسيقى تعمل. فهدأ معظم الشباب. بدأ حديثا بصوت خفيض تسمعه بصعوبة. حتى أنها اقتربت منه كثيرا لتسمع ما يقول:

حياتي ليست ملكي. لا أستطيع أن أعرف أين سأذهب ولا ماذا سأفعل. ربما ألتحق بالجيش عاما لأقضي فترة تجنيدي. لكني سأكون سعيدا لو أصبحت ضابطا وقضيت الثلاثة أعوام القادمة في الجيش. أحصل على راتب جيد. أحظى باحترام حقيقي. أنفصل قليلا عن العالم المتوحش.

حريتي الوحيدة كانت هنا. معكم. وبينكم. ذاتي كنت أجدها هنا. بين جدران هذه الكلية. لذلك قضيت السنوات الماضية محلقا خلف حلم خيالي. بدأ منذ اللحظة التي وطأت فيها قدمي. لم يسألني أحد عن حياتي. أو خلفيتي. وهذا أسعدني كثيرا. لأول مرة في حياتي لا يؤثر أصلي على علاقاتي بمن حولي. بالتأكيد أنا لا أتبرأ من عائلتي. فلا ذنب لهم فيما يعانونه. كما يعاني معظم الناس. بالعكس. أنا أفخر بهم دائما. أحبهم. ولذلك. لابد أن أسدد دينهم في عنقي. حرموا أنفسهم من أشياء كثيرة لأكمل تعليمي.

عشرة سنوات على الأقل خالصة لهم. كل ما سأتكسبه سأضعه في يد والدي.. لماذا أخبرك بذلك الآن؟ قبل أن تسأليني. سأخبرك. لأننا الآن سنفترق. وسيذهب كل منا إلى طريقه. وسأعود أنا لأغرق حتى أذني في مشاكل مادية واجتماعية وعائلية. وسأبحث عن هجرة بالتأكيد بعد تحديد موقفي من التجنيد. أو على أقل تقدير. سأسافر إلى دولة عربية وأظل هناك حتى أموت. أرجوكِ. لا تتحدثي. لا تخبريني أي شيء. سواءً حبا أو حتى كراهية. لا أريد عطفا منك. ولا تردي علي. أنا أحبك يا إيمان. فوق ما تتخيلين. وهذا آخر ما أريد أن أقوله لك.

قبل أن تنطق. وهي تستوعب كل الكلمات. قام ليجلس بجوار سائق الباص. جسده يهتز بعنف. وهو يشعر أنه أصبح عاريا من كل مشاعره. مختنقا بشدة. ودمعة تخترق صمته وكل حراساته. قد بدت جلية هذه المرة.. مع كلمات عبدالحليم التي جعلتهم جميعا يرحلون في عوالم أخرى...

حاول.. حاول.. حاول تفتكرني....

2020-4-5

****

الشيخ العاشق

استمر طوال فترة دراسته منزويا عن الدفعة. رافضا سلوكيات الجماعة. معترضا على السفور الذي يصل إلى مستوى الفجور من بعض الطالبات من وجهة نظره. اتخذ مع أقرانه من مسجد الكلية ملاذا دائما ومركزا لتحركاتهم في كل اتجاه. مع ضغط كامل ومستقل على أعصابهم كي لا يطبقوا شرع الله بأيديهم من وجهة نظرهم كما يأمرهم بعض المغالون من شيوخهم. حتى كانت تلك الفرصة التي انتظرها طويلا في إجازة نصف السنة للعام الدراسي الأخير. حين طلب منه طاهر زميلهم في الدفعة أن يقيم معه في شقته المؤجرة لأن المدينة الجامعية ستكون مغلقة ولابد له أن يؤدي مادة التربية العسكرية التي تستغرق أسبوعا. وافق اسماعيل على الفور. أو الشيخ اسماعيل كما تعود من حوله على مناداته. هو قائد مجموعة الكلية كما يعرف أصدقاؤه المقربون. وهو صاحب المواجهة الشهيرة مع عميد الكلية لمنع الاختلاط داخل المدرجات وفي الرحلات الخارجية. والتي كاد أن يحرم فيها من الإمتحان لمدة عامين. لولا تدخل بعض الدكاترة السلفيين الذين تعهدوا ألا يكررها. وقد اعتزل الشيخ اسماعيل بعدها المحاضرات. ولم يحضر سوى السكاشن العملية. يقف بعيدا مع أقرانه. لا يقترب من أحد ولا يتجاوب مع المعيدين. خصوصا لو فتيات.. وكان هذا سر تعجب طاهر

من القبول الفوري لإقامته معهم. فطاهر من وجهة نظر إسماعيل طالب منفلت غارق حتى أذنيه في المعاصي لأنه يصاحب الكثير من الفتيات ولا يتوانى عن المزاح معهم بيده. بل ويجلس بجوار بعضهن في الرحلات والمحاضرات. نصحه كثيرا لكن الفتى معاند مكابر يتملكه الشيطان. من وجهة نظره. لكن على هذا الحذر الشديد والإعتزال شبه الدائم. لم يكن الشيخ اسماعيل عنيفا أو داعيا إلى عنف. وهو ما حافظ على مسافة قريبة بينه وبين غالبية زملائه. ولهذا كان تعجب طاهر من موافقة إسماعيل على الإقامة معه. بعد أن قرأ اسمه في كشوف الطلبة الذين سيؤدون المادة في نصف العام. استقبل إسماعيل زميله طاهر بكل ترحاب. وقد تفاجأ طاهر بالمستوى المادي المرتفع للشقة التي يقطن بها إسماعيل مع اثنين من أقرانه. وعلم منه أنه يتحمل إيجارها بالكامل. خلال الثلاثة أيام الأولى. وجد طاهر نفسه مضطرا لأداء الصلوات كلها في المسجد المجاور للشقة. بما فيها صلاة الفجر. ولم يتوقف إسماعيل عن محاصرته بالدعوة للإلتزام. خاصة أنه يرى فيه علامات الصلاح والتقوى. لم يتحمل طاهر كل هذه الضغوط من وجهة نظره إلا لأنه يعرف أن فترة الستة أيام ستمر سريعا. واعتبر مجاراته لإسماعيل نوعا من تغيير نمط الحياة. ولا ضير من بعض التدين الذي لا يضر. ولا يستمر. في اليوم الخامس بعد انقضاء التدريبات والإمتحان الأخير للدورة. لم يتبقى سوى طابور سريع في اليوم التالي يحصلون بعدها على شهاداتهم اللازمة لإنهاء دراستهم. عادوا من التدريبات

في قمة الإرهاق. لكن إسماعيل النشيط دائما صاحب الجسد الضخم والوجه المنير الذي تحتل ثلثيه لحية يحرص دائما على تحنيتها وتطييبها. والإبتسامة الدائمة التي تجعله بشوشا مقبلا محببا لمن يقترب منه. أصر على أن يشاركه طاهر صناعة طعام الغذاء. وقد اكتشف طاهر خلال الأيام السابقة أن إسماعيل لا يشتري طعاما من خارج البيت أبدا. بل هو طباخ بارع يتفنن في صناعة أطباق شهية مختلفة. وله مقولة دائمة: ما لا يدرك كله لا يترك كله. لم يستطع طاهر الإعتذار لحاجته للراحة. بل لبى نداء زميله الذي لم يستطع فهمه حتى هذه اللحظة. فهو حافظ للقرآن كله. ولجميع الأحاديث والتفاسير والشروحات الدينية كما يبدو. يطيل في الصلاة حتى تكاد أقدامه تتورم. فهو إمام وخطيب المسجد المجاور كما رأى وعلم. يبدو قائدا حقيقيا في بيئته. ورغم ذلك هو بشوش مقبل على الحياة يحب الناس ويشاهد التلفاز في حدود معينة. لكنه لا يقبل الإختلاط ولا يتواجد في مكان فيه فتيات متبرجات كما يصفهن دائما. فهن فتنة. والفتنة أخطر شرور الأرض. بعد إعداد الوليمة الصغيرة التي جهزها إسماعيل كحفل وداع لزميله طاهر كما أبلغه. جلسا في المطبخ في انتظار أن يكتمل استواءه. بدا على إسماعيل التردد الشديد وهو يداعب طاهر:

-أعلم يا شيخ أنك تتحدث إلى الفتيات في دفعتنا بدون حرج.

تفاجأ طاهر بالحوار. خاصة مع الإرتباك والتلعثم الذي بدا في كلمات إسماعيل. لكنه أجابه سريعا ليعرف مسار الحوار. بعد أن ظن أنه سيتلقى محاضرة شرعية. في ضرورة الإلتزام والبعد عن الفتنة:

-نعم يا شيخ إسماعيل. وقد قلت لك مرارا أنني لست بشيخ. ولا أحب أن يناديني أحد بذلك.لأني بعيد عما تستحقه من عمل وتدين.

-ليتك تصل إلى هذه الدرجة يا زميلي.

-ولأني لم أصل الى هذه الدرجة. لا أستحق هذا اللقب يا شيخ. أنت أحق بها لا شك. لماذا تسألني عن زميلاتنا؟ هل علمت عليهن شيئا سيئا.

-حاشا لله أن أقذف المحصنات بغير علم. ولو كان في سلوكياتهن بعض الملاحظات والمآخذ الشرعية. إلا أنني لست بولي لهن ولا ولي أمر حاكم لأفرض عليهن سلوكهن. أريدك في شيء أهم.

-قل لي يا شيخ مباشرة. لا تخجل. ولا تتردد.

-رأيتك تتحدث مرة مع الأخت رشا. فهل تعرفها جيدا؟

نظر له طاهر متعجبا. ثم عصر ذاكرته ليكوّن فكرة سريعة عن رشا. فهي فتاة غامضة لا تشارك في أية نشاطات. هادئة لا يشعر بها أحد. ترتدي الخمار دائما. ولم يرها مرة واحدة تضع مساحيق للوجه.. لكنها بشوشة. تحدّث معها مرات قليلة في أمور تخص الدراسة. يعلم أنها من أسرة ثرية في إحدى قرى أطراف المحافظة. ظن إسماعيل أن صمت طاهر تعجب وعدم فهم. فأتبع حديثه:

-أنا من أسرة ميسورة الحال. نمتلك مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. والدي شيخ قريتنا وإمام المسجد. وأنا أكبر الأبناء. وقد رأيت في الأخت رشا ما أحمده وأحسبه خيرا. وأريدها أن تكون أم أولادي. فقط أردت أن أعرف هل هي مرتبطة أم لا. وبما أنك تتحدث مع الفتيات بأريحية. وقد رأيتك تحدثها أكثر من مرة. قلت ربما تأتيني بالخبر اليقين..

ازداد ارتباك طاهر. وتعجبه أيضا. لم يستوعب المدخل الأول. ليعاجله بالمدخل الثاني. اسماعيل يريد أن يتزوج رشا؟ غريب جدا. بالفعل. أكثر من يليق على رشا هو إسماعيل. وأكثر من تناسب إسماعيل هي رشا.. ابتسم طاهر وقد استعاد كل ما يعرفه عن الفتاة. ونظر إلى إسماعيل الذي يبدو أن القلق قد تمكن منه. مع قليل من الغضب لعدم رد طاهر. الذي حدثه أخيرا:

-حقيقة. أنتما تليقان على بعضكما جدا. ولأريحك. آخر معلوماتي عن فتيات الدفعة. أن لدينا فتاة تزوجت الصيف الماضي. وفتاتان مخطوبتان. ليست رشا منهما.

انفرجت أسارير الشيخ إسماعيل. وقام يحتضن طاهر في سعادة بالغة. طاهر اتبع:

-لكني أحذرك. رشا من عائلة عربية كبيرة وسيحصلون على مهر كبير ولهم طقوس خاصة للزواج.

بكل خيلاء وفخر اتسعت رقعة ابتسامة إسماعيل وقد انتقل إلى عالم خيالي تماما. وعقّب على حديث طاهر:

-ونحن أيضا من العرب. وأعرف الطقوس جيدا. في اليوم الذي نذهب فيه لطلب يدها. لابد أن يجتمع كبراءنا وكبراءهم. ونأخذ معنا ذبيحة كبيرة. فإذا وافقوا. تذبح الذبيحة. ونتغدى منها. ونحدد موعدا للزفاف. يحضر فيه كل من يمت لعوائلنا بصلة. ونقيم الولائم لثلاثة أيام. بينما نقدم للعروس ذهبا يناسب قدرها. ومهرا لوالدها يناسب قدره ومكانته. نعم يا طاهر. كل ذلك متاح لا مشكلة فيه. المهم أن تكون رشا هي زوجتي وأم أولادي.

ابتسم طاهر مرة أخرى وهو يلاحظ كلمات الشيخ إسماعيل. عينه تلمع بشدة. ابتسامته تشرق في جمال. يكاد يطير من على الأرض وهو يذكر اسمها. طاهر:

-أنت تحبها يا شيخ؟

صدمت الكلمة الشيخ تماما؟ أحبها؟ عل هذا هو الحب؟ السعادة الغامرة كلما حضرت سيرتها. الفرحة الطاغية كلما مرت أمامنا. التحليق في عوالم جميلة كلما طافت بخيالنا. نظر إسماعيل طويلا لطاهر. ولم يجبه. احترم طاهر مشاعر إسماعيل.. اقترب منه وربت على كتفه:

-غدا نتأكد أيها الشيخ الحبيب.

تعجب إسماعيل من كلمات طاهر وسأله عما يقصد. فأتبع:

-غدا اليوم الأخير من التدريب. وسيتم تعليق نتيجة التيرم. وكل الفتيات سيحضرن. ومنهم رشا.

لم ينم إسماعيل ليلته. أدى صلاة الفجر وظل يقرأ القرآن ويردد الأذكار حتى حان موعد الخروج. في الكلية جلس يترقب الباب. حضرت جميع الفتيات. قلبه معلق بالباب. حتى هلّت. بخطوات هادئة كعادتها. دخلت بصحبة زميلتهم بدرية. نادى طاهر سريعا. لم ينتبه. فقام مسرعا يسحبه من يده بعنف بعد اندماجه في الحديث مع بعض الزميلات. ابتسم طاهر واعتذر لأنه لم ينتبه لحضور رشا. ثم أسرع في اتجاهها. تصاعدت دقات قلب إسماعيل حتى كادت تضرب في سقف وعيه. وهو يراقب خطوات طاهر. حتى وصل إليها. وبدأ الحديث معها. راقب ملامح رشا. ولاحظ على وجهها ملامح مختلفة. مفاجأة في البداية. ثم دهشة. ثم ابتسامة خفيفة. تلتها خطوات مترددة إلى الخلف. حتى جلست على مقعد قريب. ولمعت دمعة في عينها. قبل أن تضع يدها على وجهها. تخفي شيئا ما. لم يميز إسماعيل أيا من رد فعلها. ليست له أية خبرة بالفتيات. تحرّق في انتظار حضور طاهر. الذي عاد إليه. بخطوات متثاقلة. وقبل أن يصله. كانت رشا تسبقه. تفاجأ إسماعيل تماما. وازداد ارتباكه. وقفت الفتاة مواجهة له. والدموع تلمع في عينيها. بكلمات ميتة . تحدثت معه..

-تسمعها مني أفضل. لقد تمنيت أن تكون زوجي. ووالد أبنائي. منذ السنة الأولى. لكنك تأخرت كثيرا. خطبني ابن عمي يوم الجمعة الماضية. وزفافنا فور انتهاء الدراسة. أسأل الله أن يعوضك خيرا مني. يا...

2020-4-6

****

حتى الجراح ستبتسم

دخل إلى مقر لجنة الإمتحان الخاصة بكلية الآداب متأخرا خمسة دقائق قانونية. سريعا جلس في مقعده الذي جاء بين فتاتين. فور جلوسه اقترب منه المُراقب ساخرا وهو يرحب به في لجنة الفاشلين. أخذ الورقة وبدأ يقرأ فيها. للمرة الأولى ينتبه للكلمة. لجنة الفاشلين. نعم. هو بمقياسهم فاشل لا شك. ثلاثة سنوات رسوب في كلية العلوم. استنفذ فرصه كلها. اختار الإنتقال الإجباري إلى كلية الآداب. وسط عواصف تتزايد في حياته حتى تحولت إلى وحش يكتسح كل استقراره. ويبتلع بلا رحمة انتقالته التاريخية من الصبا إلى الشباب. أي شباب. كل ما يتعلق باللحظات الفارقة أصبح كابوسا عنيفا. أصدقاء طفولته وصباه يستعدون للتخرج في هذا العام. وبعض من التحق بكليات القمة تبقت له سنة واحدة. وينال اللقب الأول. دكتور. مهندس. كيميائي. بل أن زملاءه الذين التحقوا بكليات الجيش والشرطة. سيتخرجون هذا العام. ويحصلوا على الفور على احترام المجتمع. هو في أسفل سافلين إذًا. لا يستطيع أن يحدد سببا واحدا لفشله.

ربما أخذته الدنيا قليلا من نفسه. وقطعت حبل تركيزه الذي جعله يستمر في دراسته حتى الثانوية دون مشاكل. لم يحصل على درس خارجي واحد. دخل كليته التي أرادها دائما ليفتتح معملا للتحاليل. كل شيء انتهى فجأة

بعد دخوله الكلية. لم يستطع تجاوز صدمة الإنتقال. أفاق في العام الأول على امتحانات التيرم العملية. رتم العمل في الكلية سريع جدا. ومُركَّب. ولا يمكن تعويض ما يسقط منه. كانت صدمة عمره وكل من حوله. حين حمل معظم مواد السنة الأولى. في السنة الثانية صفى بعض المواد. لكنه لم ينجح أيضا. تبقت معه خمسة مواد. في السنة الثالثة كان قد خسر ثقته في نفسه تماما. وثقة من حوله أيضا. فلم يمر. لم يعد أحد يركز معه. خرج للعمل في معمل للتحاليل. يلامس حلمه المستحيل. يأخذ نتائج الإختبارات ويوصلها. يشارك في إعداد العينات. شيء أقرب للوقوف خارج الحلم والتلويح له. لكنه لم يعد يستطيع التعامل مع والده ولا طلب مصروف منه. انتقل إلى كلية الآداب بإرادته كي يتمكن من مواصلة عمله. لن تصلح معه كلية أخرى. سيحضر فقط للإمتحانات. بعد قراءة كل المقررات حلال فترات فراغه. هي كلية نظرية في النهاية... وسط تأملاته التي تستهلك من وقت الإمتحان. فوجئ بربتات خفيفة على كتفه من خلفه. التفت بعفوية. ليجد الفتاة التي خلفه تنحني بجسدها كله ناحيته. اقتربت منه جدا. تأمّلها سريعا. ماكياج كامل. شعر حريري. جميلة فعلا. ممتلئة قليلا دون إسراف. عاجلته بكلمات هامسة:

-هاي. يا أمين. هل تعرف شيئا عن هذا الكلام العجيب الذي في ورقة الأسئلة؟

ازداد اندهاشا من حميميتها في الكلام معه. أكثر من اندهاشه لكيفية معرفتها اسمه. قبل أن يجيبها. كانت خبطات أخرى من الفتاة التي أمامه على الديسك تطلب منه أي تعاون لأنها لا تعرف شيئا. ولكن بصورة أقل حدة وإلحاحا. تأملها أيضا. فتاة قليلة الحجم. بُنية الشعر. خضراء العينين. استغلتا خروج المراقب وانقضتا عليه تستنجدان بما يعرف. لابد أنهما مثله قد استنفذا فرصهما في كلية أخرى. وانتقلتا إلى هنا بحثا عن ملاذ أخير. أخذ نفسا عميقا. هدّأ من روعيهما. لقد قرأ هذه المادة جيدا. ويعرف إجابة الأسئلة. وسيجد طريقة لنقل الإجابة. وهو ما حدث. كتب بصوت مرتفع نسبيا. لتسمعه التي أمامه. ورفع الورقة مع كل إجابة لتراها الذي خلفه. مع استغلال مثمر لكل خروج للمراقب من اللجنة. فور انتهاء اللجنة فوجئ بزميلته التي خلفه تقف بجواره وتعرّف بنفسها: بما أنك مؤدب ولم تتخابث وتنظر إلى اسمي على الديسك كما فعلت أنا وعرفت اسمك. أنا أمنية. فاشلة هندسة. وأكبر أحلامي أن أتزوج وأجلس في البيت.

ابتسم أمين وهو يتابع انطلاقتها وسخريتها من نفسها. عندها حضرت الزميلة التي أمامه وعرّفت نفسها مباشرة: وأنا أمينة. فاشلة طب بيطري. ويارب تكون إجاباتك صحيحة. لأني لن أحتمل فشلا جديدا.

استجمع أمين شجاعته وألقى بحزنه قليلا على قارعة الطريق. وعقب عليهما:

-أمنية. أمينة. أمين.. ثلاثة فشلة لا يمكن أن يلتقوا في الحياة الطبيعية. ونحن الثلاثة بالطبع تفوّقنا في القسم العلمي. لكننا عدنا قَصرا إلى كلية تابعة للقسم الأدبي. لا يحتاج أحد ليتعب كثيرا ليحصل على مجموعها. أنا أمين. فاشل علوم. ومحبط جدا.

دعاهم أمين للجلوس في كافيه قريب. حاولت أمينة الإعتذار. لكن أمنية وافقت على الفور. فلم تجد أمينة بدا من مرافقتهم. شرط ألا يتأخروا. بدأت أمنية الملفتة للجميع بالحديث بعد أن جلسوا وطلب كل منهم قهوته المفضلة..

-أتمنى أن نصبح أصدقاء. بدون سابق معرفة. فقد جمعنا طرف استثنائي في حياتنا. وكلنا جراح. نتفق على أن نساعد بعضنا على المرور منه. أنا أمنية. كنت من العشرة الأوائل في مدرستي. التحقت بكلية الهندسة. حلم عمري. وبمجرد دخولها. في أول سيكشن. التقيت معيد المادة. شاب حاصل على الماجستير حديثا وبدأ خطوات الدكتوراة. حدث بيننا تجاذب فوري. تحول إلى حب عنيف. من الدرجة الخامسة الإعصارية. حياته كانت فوضى عارمة. حاولت بكل قوتي أن أحدث تغييرا إيجابيا. نسيت نفسي وسط دوامته. ولم أفق إلا وهو يهاجر من البلد. وأنا فاشلة في كليتي الحبيبة. وليس لي فرصة أخرى للعودة إليها. وها أنا بينكم. أنقذ ما يمكن إنقاذه من حياتي..

لم تستطع ابتسامتها العريضة محو دمعة برقت في عينيها. واختناق واضح في صوتها.. بعد فترة صمت سريعة.. التقطت أمينة طرف الحديث..

-أنا التحقت بكلية الطب البيطري بفارق درجة واحدة عن كلية الصيدلة التي كانت حلم عمري. طلبت من أسرتي إعادة العام لتحقيق حلمي. لكنهم رفضوا تماما. وأقنعوني أن أستمر. للحقيقة. لم أستطع التواءم أبدا مع الكلية. لم أقبلها داخليا. حتى فشلت فيها. وها أنا بينكم أنقذ مستقبلي..

فور صمتها تحدث أمين..

-أنا التحقت بكلية العلوم بإرادتي. لي حلم كبير. خططت حياتي كلها عليه. لكن سرقتني السنوات. لا أستطيع أن أحدد بالظبط ماذا حدث. فجأة مرت ثلاث سنوات. فجأة وجدت نفسي ملقى على قارعة الطريق. لا صديق ولا عائلة تثق في ولا معالم للمستقبل. وها أنا ذا هنا أنقذ أي شيء..

ابتسمت أمنية بعد ان تمالكت أعصابها وأعادت حبها العنيف وقلبها الجريح إلى قبره داخلها. ثم تحدثت:

-ما رأيكم أن نُكوّن شلّة. ونسميها شلّة الفشَلة. ونساعد بعضنا على النجاح في كلية الآداب. على الأقل هذا العام. لو وافقتم. مدوا أيديكم نصادق على العهد. لنستعيد حياتنا.

مد ثلاثتهم أيديهم ووضعوها فوق بعضها. ورددوا قَسمًا اخترعته أمنية..

-الله.. المستقبل.. شلّة الفَشَلَة...

2020-4-7

العبقري

بيدٍ مرتعشة. وأنفاس لاهثة. وحركة ثقيلة. دخل إلى المخزن الملحق بمحل التصوير المقابل للجامعة ليحضر مزيدا من رزم الأوراق ليستكمل عملية التصوير. سمع من الداخل أصوات تذمر واعتراض من بعض الطلبة المتعجلين دائما. تعمّد الجلوس ليلتقط أنفاسه قبل أن يخرج لمواجهة الحشد المتزايد. بعد أن استجمع طاقته. خرج بهدوءه المعتاد. فلم يتحمل بعض الطلبة كل هذا الوقت. الذي لم يتعدى في الحقيقة خمسة دقائق. فنعته أحدهم بالجاهل . وضحك آخر ساخرًا من مظهره المتواضع مناديا صاحب المكتبة ليتخلص من هذا العاجز. رغم أن جرعة التنمر كانت زائدة عن المعتاد. إلا أنه لم يتحدث. تعوّد على الصمت والتجاهل طوال السنوات الخمس السابقة. منذ تولى مسئولياته في المكتبة. لكن صمته جعل أحد المتنمرين يتطاول عليه بالقول. ويسبه بأمه. أمه؟ وقع الورق من يده. تصلب في وقفته. اغرورقت عيناه بالدمع الفوري. واهتز جسده كله. وهو يتخيل اليوم الأخير في حياة أمه. حين صرح لها بما حدث معه. وقد كانت خط الدفاع الأخير في حياته. حمته من غضب والده وتنمر إخوته. وسخرية عائلته. حمته حتى من نفسه. كانت بالنسبة له الجنة وسط الجحيم. لكنها لم تستطع تحمّل ذلك الخبر. فهو صغيرها المدلل. وحب عمرها كما كانت تقول

له دائما. سقطت مغشيا عليها. وعند وصولها إلى المستشفى. كان الخبر الصاعق. لقد توفيت. بمجرد أن سمع ذلك الخبر. سقط مغشيا عليه. وبعد أن أفاق. لم تفارقه الرعشة في يده. ولا المشية الثقيلة. ولا الحزن الدائم. لم يبتسم أبدا من يومها. انحنى ظهره قليلا. وظل لعام أو أكثر لا يخرج من البيت. محملا نفسه ذنب موتها.

لم يخرجه من عزلته. سوى إلحاح صاحب المكتبة ليعمل معه. وتعهده بتحميله الأعمال الخفيفة فقط. لكن اليوم كان على زميله في العمل. وصاحب المكتبة أن يذهبوا لشراء بعض المستلزمات الضرورية. ولم يقدروا وجود محاضرات متأخرة. ولم يتوقعوا هجوم الدفعة مرة واحدة لشراء ملخصات المُحاضر المجهول. أفضل ملخصات مواد الفرقة الأولى في جميع المكتبات.

أخذ الفتى الذي لم يكمل الخامسة والعشرين من عمره نفسا عميقا. ثم بمنتهى الغضب والحنق والألم. صرخ بأعلى صوته ليبتعدوا جميعا. كانت عيناه تطلقان نارا حقيقية. وجسده ينتفض بغضب بالغ. والعرق الغزير يغطي وجهه. حمل عصا حديدية يستعملونها في غلق المكتبة. ولوح لها في وجوههم جميعا. تراجع الطلبة مذعورين للخلف. ولم يتوقف ذلك الطالب المستفز عن سبه والتنمر عليه. تجمع الشارع كله على الصوت العالي. كل من يعرف أمير. البائع الهادئ المسالم. وقف معه وحوله. وجد ذلك الطالب من يحمله من قفاه حرفيا. حتى أدخله إلى المكتبة. والفتى المذعور يحاول

التخلص بكل ما يملك من القبضة الحديدية التي أحكمت حواليه. ظل بقية الطلبة يترقبون الموقف. بعد أن جلس العاملون والعاملات في باقي المكتبات حول أمير لتهدئته واحتوائه. وهو يحاول جمع شتات غضبه العارم مرددا.. أمي لأ. إلا أمي. بعد فترة صغيرة حضرت الشرطة. حاول الطالب المعتدي الإعتذار والدموع على طرف عينه. إلا أن أمير ظل يردد. إلا أمي..
بعد أن أخذت الشرطة الطالب المتعدي. متهما من صاحب المكتبة. الذي حضر في وسط الموقف. بالتعدي على المكتبة وكسر محتوياتها ومحاولة سرقتها. بشهادة كل العاملين في المكتبات. وذلك الشاب القوي الذي حمل الطالب بعد أن راقب الموقف كله من البداية. حاول الجميع تهدئة روع أمير ورفع معنوياته. سمع صاحب المكتبة همسا بين فتاتين عن سر الإهتمام المبالغ فيه بمجرد عامل تصوير عاجز وضعيف في مكتبة.. اقترب منهما في هدوء..

-لماذا أنتم هنا؟

-أجابته إحداهما: لنشتري مذكرات الدكتور.

-ولماذا هذه المذكرات بالذات؟

-لأنها أفضل وأهم مذكرات لا يخرج عنها أي امتحان.

-هل تعرفان من هو الدكتور؟ تبادلتا نظرات متعجبة. بالفعل لا يعرفان اسم الدكتور.

-فاجابت الأخرى: لابد أنه دكتور مهم في الجامعة. لا يحب ذكر اسمه.

ابتسم صاحب المكتبة. وأتبع

-سأخبركما سرا. أرجو ألا تذيعوه أبدا. كان هناك شاب ذكي. طموح التحق بكليتكم. وقد كانت هوايته حفظ كل المواد. بعد فهمها. وعمل الملخصات العبقرية لها. أثر ذلك على مبيعات الكتب والملخصات التي يطبعها الدكاترة. في التيرم الثاني توصل الدكاترة إلى أن العبقري هو من قام بعملها. تخيلوا. رسب في كل المواد في التيرم الثاني. وكان الوحيد الذي رسب في ذلك العام. بعد أن كان الأول على دفعته في التيرم الأول. لم يتوقف عن كتابة ملخصات المواد. فلم ينجح في العامين التاليين. وتم رفده من الكلية لاستنفاذه مرات الرسوب. وبسبب ذلك ماتت والدته. قهرا عليه. ظل عاما حزينا مضطربا. بعد إلحاح مستمر مني. وافق أن يعمل معي هنا. وكان منجم الذهب الذي جعل هذه المكتبة أهم مصدر للملخصات. التي يقوم بعملها بنفسه. هذا الشاب المهزوم المنكسر. كان من المفترض أن يكون المعيد الذي يدرس لكم المناهج الآن. وهو أحق من كل من في الجامعة بذلك..

2020-4-8

****

أنثى العنكبوت

لم يكن جلوسها في مكانها إجباريا هذه المرة. بل تعمدَت الحضور مبكرا على غير عادتها لتستقر في مكان لا يراها منه الدكتور. ولا تحتك بزملاء لا تطيقهم. ظلت تحاول استجماع شتات ذهنها وتركيزها. حتى فاجأتها حركة غريبة أمام عينيها مباشرة. ثبّتت عينيها على الحركة الترددية التي ظهرت من العدم. تحوّل تركيزها إلى ما يحدث مما جعل ما خلف الحركة كله ضبابيا مشوشا. للمرة الأولى تلاحظ أن العينين لا تستطيع تبين الملامح كاملة في بُعدين مختلفين. أثارتها الصورة القريبة حتى أنها ظلت تتابعها. صراع واضح بين عنكبوت متوسط الحجم وحشرة أصغر منه قليلا في الحجم. اقتربت أكثر من المشهد. ظهرت الأطراف الحادة المدببة للعنكبوت وهي تحكم السيطرة حول فريستها. وكأنها خناجر صغيرة مزروعه في أقدامه السوداء الغريبة. والأكثر فزعا تلك النظرة الشرسة للعنكبوت وهو يمد وجهه المسلح بما يبدو أنها أنياب حادة ليغرسها بكل عنف في جسد تلك الحشرة المسكينة. تناسق عجيب للألوان. وكأن رأسه الحمراء وعيونه العسلية التي تحتل كل رأسه قد رسمت بعناية وإتقان بالغ في مرسم محترف. أذهلتها الحركات الأكروباتية للعنكبوت. والقوة الواضحة لخيوطه التي نزلت كل هذه المسافة من السقف. وحملت كل ذلك الوزن. بثبات واتزان

ومرونة واضحة. رغم أنها قريبة منه نسبيا بحكم جلوسها في آخر صف بالمدرج. لم تعرف كيف حدث الصيد. هل طار العنكبوت في الفضاء كما يفعل سبايدرمان مثبتا نفسه بخيوطه الصلبة المرنه فاصطاد الحشرة الطائرة. أم تراهما سقطا معا بسبب قوة مقاومة الحشرة وحرصها على الحياة. تعاطفت بشدة مع نظرة الفزع الرهيبة في وجه الحشرة الضحية. لم تعرف نوعيتها. ليست ذبابة بالتأكيد. ولا بعوضة. هي كائن حي دخل إلى المدرج دون أن يستأذن الدكتور العنيف الذي يمنع تماما أي صوت أو حركة في محاضرته. وكأنه سيتلو نصا مقدسا. أو ربما شخصيته المختلة من وجهة نظرها قد كونتها أمراض داخلية ناتجة عن مشاكل في الطفولة. كل تصرف يخضع لسيطرة العقل الباطن في النهاية... بحركة أكروباتية مستحيلة. دار العنكبوت عدة دورات. وأحاط الحشرة بخيوطه بدوائر متتالية حتى سيطر عليها تماما. أرعبتها بشدة نظرة مباشرة من عيون العنكبوت المركزة عليها وهو يتحرك صاعدا.. لحظات انفصل العالم عنها. أو انفصل عنها العالم. عاشت عمرا كاملا في تلك النظرة. التقاء العوالم خطر جدا. لا يجوز في الحقيقة. هذا البناء الأساسي لتكوين الكوكب العجيب. القوي يأكل الضعيف. في كل الطبقات المكونة للكائنات الأرضية. هذا العنكبوت لا يهاب فارق الحجم بيننا. ينظر لي بجراءة تصل إلى الوقاحة. وتحد غير منطقي. أستطيع أن أسحقه بكف يدي. بل بإصبعي. أو أدفعه بعيدا بنفخة واحدة من فمي. القوي لا ينظر إلى التحديات إذن. لا تقلق أيها الوحش

الصغير. لن أفعل شيئا لك. ولعلمك. أنا لا أخاف منك. لكني أريد متابعة عرضك المدهش للنهاية.

صعد العنكبوت بهدوء. منتشيا بصيده السمين. متيقنا أنه أفزع المارد البشري العملاق. وأبعده عن طريقه. ظلت تتابع صعوده بفريسته. حتى وصل إلى بيته الذي بناه على المصباح العريض المزين للسقف. في زاوية لا تصلها الزعافة فيما يبدو. ولم تلاحظه من قبل. بل لم تلاحظ أي وجود لهذا العالم البيني العجيب من قبل في الحقيقة. بمجرد استقراره في وسط البيت. أخذ يكمل إفراز الخيوط وإحاطة الفريسة حتى اختفت تماما داخل إطار أبيض مكثف. أدركت أن خيط العنكبوت يكون شفافا في الحالة الفردية. لذلك لا يمكن ملاحظته بسهولة. لكن تجمّعه يُكوّن لونا أبيضا واضحا.. ظلت تراقبه. وكأنه يأخذ استراحة. بعد قليل. خرج من حيث لا تعلم عنكبوت آخر. يسير بهدء. وكأنه يتدلل. حتى وصل إلى قرينه. بدآ يدوران حول بعضهما. ويتقاربان. ظنت أنه عنكبوت آخر ينافس الأول على الفريسة. لكن مع قليل من التركيز. لاحظت أنهما لا يتصارعان. بل يتغازلان في الحقيقة. إحداهما أنثى إذن. لم تستطع أن تميز في البداية. هل الصياد هو الأنثى. أم الذي كان ينتظر في البيت. لا تستطيع تفسير سلوك الحشرات. سريعا. حدث التوحد بينهما. فاستشعرت مشاعر أنثوية فياضة تتملكها حتى تسيطر على تفكيرها. رغم تعجبها الشديد. إلا أنها ابتسمت من رد فعلها. الغريزة واحدة بين كائنات كوكب الأرض. ولكن. وحدها

الكائنات العاقلة هي التي تستمتع برؤية السلوك الجنسي للكائنات الأخرى. أخذت نفسا عميقا تسترد به هدوءها بعد أن مرت أمامها المحاولات الكثيرة لذكور بشرية للتحرش بها. منذ صغرها. لم تكن تفهم ما سر اللذة التي يشعر بها ذكر ما حين يلمس جزءا من جسد الأنثى. عندما ازداد وعيها وبدأت الرغبة تتولد داخلها. كانت الحواجز الفكرية والنفسية حاجزا قويا بينها وبين رغبات جسدها. وبين تأويلات المشاعر المكبوتة. حتى عندما حاول أحد زملائها في الكلية التقرب إليها. لم تكن في حالة ذهنية تسمح لها بالقبول. عاطفيا. ظلت مرتبطة بحلم جسدي واحد. ليس بقلبها. الغريزة الأساسية تغلب على عواطفها. ظلت تتابع بنهم بالغ. اللقاء العاطفي الساخن بين العنكبوتين. بعد قليل من الإندماج. انفك الإرتباط. وقف أحد العنكبوتين. وتحرك الآخر ناحية الفريسة. ظنت أنه سيقدمها هدية الزواج. لكن. فاجأتها بشدة حركة العنكبوت المتوقف. أسرع ناحية الثاني وغرز مخالبه فيه. انتظر قليلا. شاهدت ارتعاشة واضحة لجسد الضحية الجديدة. الصياد أصبح فريسة؟ اجتاحتها عواطف متضاربة. هل تقوم سريعا لتنقذه. أم تتركه لقدره المحتوم. قبل أن تتخذ قرارها. كان العنكبوت المهاجم قد أحاطه بخيوط الغزل. ركزت قليلا في المشهد. المسافة بعيدة قليلا. التفاصيل غير واضحة تماما. لكن مع تحليل للموقف. وجمع الصور كلها بجوار بعضها. تيقنت أنها هي الأنثى لا شك. مر أمامها مشهد التزاوج مرة أخرى. كان أحد العنكبوتين أكبر حجما من الآخر. هي الأنثى

إذن. حجمها أكبر. وغرضها واضح. جعلته يصطاد لها. ثم أرغمته على التزاوج. وبعد انتهاء الغرض من وجوده. التهمته أولا. ليكون غذاءا مناسبا ممتلئا بالمواد التي تحتاجها لتكمل دورة الحياة. وتنتج أجيالا جديدة تملأ الجدران والأسقف. وربما الكوكب كله. أعجبتها بشدة شخصية أنثى العنكبوت. لا إراديا. أخذت تصفق بيديها معجبة بحركة العنكبوت الأنثى النهائية. سمعت ضوضاء وهمهمات بالقرب منها. عادت بنظرها ووعيها من عالم العناكب. إلى عالم المحاضرة. وضحت لها الصورة المشوشة الكبيرة. الدكتور يقف أمامها مباشرة. وهو ينقل عينيه بين السقف. دون أن يلاحظ الصورة الصغيرة. وبين ابتسامتها الغامضة. كانت كلماته الأخيرة وهو يطردها من المحاضرة..

حظه أسود من سيقترن بك..

2020-4-10

****

حكاية سيد بك قشطة

أصبحَت هوايتها الاثيرة مراقبة أعين الناس. تستمتع من داخلها بردود أفعالهم التي تتراوح على حسب الطاقة التي تجتاحها وتجعلها تضع على وجهها مواد ثقيلة أو خفيفة. في البداية لم تكن بارعة في اكتشاف مواضع الجمال داخلها. وكان يرهقها بشدة مجاهدة المعترضين ممن حولها على ما تفعله. يسقط من حساباتها كثيرا التاريخ الأساسي الذي حولها من حمل وديع إلى وحش مفترس. ربما تغوص قليلا في ذاكرة منسية اختياريا إلى الطفولة البريئة. لم تكن بريئة على الإطلاق بالنسبة لها. منذ وعت في الحقيقة تسمع كلمات ثقيلة جدا على وعيها. وفهمها أيضا. ما هذا الأنف المفلطح كأنه سيد قشطة؟ ما هذه البشرة التي لا لون لها. والعيون الصغيرة على وجه كبير. جسد الفيل. مؤخرة مكتنزة كأنها وحيد القرن.. دائما تسمع تشبيهات بحيوانات عظيمة الحجم. حتى التحرش بها من قبل صبيان الحي. كان موضعا للتحدي والسخرية. من يضرب تلك المؤخرة العظيمة. من يضع يده على ذلك الصدر الذي يكفي لإرضاع الحي كله. مرضعة قلاوون. مرضعة سيد قشطة. كان اكتشافها لفرس النهر مبهرا في الحقيقة. في البداية حزنت فوق حزنها حين شاهدته في حديقة الحيوان. حيوان دميم ضخم. قصير نسبيا. له رائحة مقززة. يفتح فما يستطيع ابتلاع سيارة نقل محملة بالفيلة. لكن سعادتها به جعلتها تجعله تميمتها الوحيدة. بعد أن

اكتشفت أسراره الخاصة. هو أشرس حيوان في الحقيقة. غضوب. لا يترك حقه أبدا. ولا يستطيع أي كائن أن يقف في طريقه. وكانت تلك هي المصالحة الأساسية بينها وبين اسمها الذي كانت تكرهه أكثر من جسدها. ما الذي رآه فيها ذلك الشخص الذي أطلق عليها حياة؟ الأجدر والأقرب لوجهها وقسماتها هو موت. تشوه. حزن. كآبة. أي شيئ. إلا حياة.

حين وصلت إلى الثانوية. فرضت على نفسها نظاما غذائيا قاسيا. رغم ضعف ما تتحصل عليه في الأساس. ولا يخرج في العادة عن طعام الفقراء. إلا أنها قررت أن تكون في رشاقة سيد قشطة. رغم حجمه الضخم. من أخف الحيوانات حركة. وأكثرها سرعة. تكيفت كثيرا على النظرات. أصبحت تستهدف ردود الأفعال في الحقيقة. في اليوم الذي تريده ساخرا. تتعمد وضع كمية كبيرة من المساحيق غير المتناسقة. مع حجمها الكبير ووجهها النحاسي. تتحول إلى جنس ثالث. هي تعرف ذلك وتقصده. تبتسم كلما رأت نظرة فزع في عيون الرجال والشباب. وتستمتع أكثر إذا تحول الفزع إلى سخرية. خاصة إذا اقترن بكلمات جنسية. كان دخولها الجامعة حدثا استثنائيا في تاريخ عائلتها. بل هو الحدث العلمي الأبرز في الحقيقة. لم ترتب لتكون الصديقة المقربة للفتاة الأجمل في الدفعة. لم تأبه للتعليقات التي لا تنتهي حول أن الشمس تحتاج إلى الظلام لتبرز بجواره. أو أن القمر يبرزه أكثر وجوده وسط الظلام. استمتعت بأداء دورها الجديد تماما. استمتعت بتهافت الشباب عليهما. فكل نظرة لصديقتها لابد أن

تكون هي ظاهرة فيها. بل حاول بعض الشباب استغلالها للوصول إلى قلب صديقتها. عرف الجميع لقبها المحبب. سيد قشطة. سمعت لأول مرة في حياتها عبارات الغزل الخالية من السخرية والتنمر. والنظيفة من الصور الجنسية المركبة والمعقدة. حتى أن البعض أصبح يناديها قشطة فقط خالية من سيد بك.. أو سيد باشا..

ذهبت إلى أماكن جديدة لم تكن تجرؤ. حتى في قمة سلامها النفسي. أن تذهب إليها. في ذلك اليوم من بدايات ربيع السنة الثالثة في الكلية. وسط كل تأملاتها التي لا تنتهي. دعتها صديقتها الحسناء لتلبية دعوة من أحد شباب الدفعة للذهاب إلى السينما الأغلى في المدينة. تدرك تماما كما تدرك صديقتها أنها مصيدة لقلبها الذي لم ينجح أحد في افتحامه أو إقناع الحسناء بتفرده. وكان لها دور أساسي في ذلك. فمعنى ارتباط صديقتها عمليا أن تفقد اهتمامها بها فتخسر النعيم الذي تعيش فيه. أعدت خطة محكمة لإحبتط محاولات ذلك الشاب المستمرة والمبتكرة. هذه الدعوة ستكلفه كثيرا. يبدو من مظهره وسيارته أنه لا يتأثر. لكن حياة قررت أن تجعله يندم على محاولاته. قبل السينما اشترت لأصدقائها على نفقة العاشق مجموعة من الأطعمة والهدايا التذكارية. ثم صممت على أن يكون جلوسهم في المقاعد المميزة. مع شراء نظارات إتش دي غالية. قضت على السيولة لدى الفتى قبل دفع ثمن النظارات. فابتسمت منتشية معتقدة أنها أحرجته. لكنه أخرج سلاح بطاقة الدفع المسبق التي لا تقهر. لم تفهم في البداية

كيف يمكن دفع أموال بمجرد وضع كارت يشبه البطاقة الشخصية في ماكينة صغيرة. فبدت ساذجة جدا وارتدّت عليها خطتها الأولى. نالت حظها من السخرية حين سألت أحد الأصدقاء العشرة عفويا عن كيفية حدوث ذلك. شهّر بها حرفيا. وجعلها مادة للتندر. بتوصية خاصة من العاشق. تعاطفت معها صديقتها وقررت عدم دخول السينما. لكن عناد حياة جعلها تصمم على إكمال اليوم.

دخلوا إلى السينما. أحاطت حياة بصديقتها كما يفعل البودي جارد المحترف مع الشخصية الهامة. حاول الفتى العاشق التقرب منهما بكل الطرق الممكنة. لكن حائط الصد كان صلدا ومتحكما. وصل به الأمر إلى ضرب سيد قشطة على مؤخرته المكتنزة. لكن ذلك لم يحرك لها ساكنا. بل على العكس ابتسمت لتحرض متحرش الظلام على التمادي. حتى حدث فعلا ووصلت يده العابثة الساذجة إلى صدر سيد قشطة البارز. وعندها. حدث ما كانت تنتظره. أمسكت يده وصرخت في قلب القاعة. ففتحت الأنوار وحضر الأمن لينقذه حرفيا من بطشها. فقد كان سيد قشطة بمؤخرته المكتنزة ووجهه الملون بمواد لا تتطابق مع بعضها يكتم على أنفاسه. انتهت تماما في تلك الأمسية محاولات الفتى العاشق للتقرب لأميرته المحمية. واستمرت حياة في استمتاعها بدور سيد بك قشطة. حتى إشعار آخر..

2020-4-11

الجزار

ظهر فجأة في الأسبوع الثاني من التيرم الأول لنا في الفرقة الرابعة. دخل إلى محاضرة الإنتاج الحيواني بكل ثقة وشموخ. يبدو أكبر منا في العمر قليلا. لكنه متأنق بطريقة مبالغ فيها وكأنه ذاهب إلى حفل وليس محاضرة. حذاء كلاسيك من أغلى الماركات. جينز عالمي أصلي فيما يبدو. قميص مربعات اسود تقفز من صدره رموز البراند الشهير. هاتف آي فون ذهبي واضح أنه حديث. رأسمالي متعفن إذن. غمزتني سحر بشدة فتألمت متعجبا من حماستها الغريبة. أشارت برأسها للزبون الجديد وهي مبتسمة. تريدني أن أصطاده أولا لنضمه إلى شلتنا قبل أن تسيطر عليه قائدة الشلة المنافسة لنا. قد نستفيد من ورائه بأية مصلحة حسب تعبيرها. قفزت من مستقرنا الدائم في البنش قبل الأخير بحركة أكروباتية حتى وصلت إليه قبل أن تصل فريدة منافستنا اللدودة بخطوات قليلة. فوجئ الشاب باندفاعي نحوه بهذه الصورة. فتراجع خطوتين للخلف واستعد للتعامل معي. وقفت أخيرا عند حدوده مباشرة. قبل أن يتخذ موقفا عنيفا معي. وصلت فريدة وقد ارتفع صوت ضحكتها حتى أحرجني بشدة. فاجأتني بأنها اطمأنت عليّ أولا. هل تتخذ استراتيجية جديدة للسيطرة على الممول المحتمل لنشاطاتنا المختلفة؟ تجاهلتُها وأسرعت أمد يدي للقادم الغامض. نظر لي بكثير من الريبة.

وهو يمد يده. عرّفت نفسي. فأخبرني أن اسمه جابر. ثم سألني مباشرة عن سر هذه الحركات العجيبة التي قمتُ بها؟ ابتسمَت فريدة وأخبرته أنني أحاول الترحيب به لكن الحماسة جرفتني قليلا. نظرتُ لها متعجبا. نحن في حالة تنافس منذ الفرقة الأولى. حدث بيننا صدام مباشر بعد أول شهر. في الحقيقة كان صراعا على السيطرة. أرادت أن تكون لها اليد العليا في الدفعة. تدللَت على الدكاترة وتقربَت للطلبة. أنشأَت أسرة صوت المستقبل. تعرفَت على زملاء من سنوات سابقة. ووضعت اسمها في جميع أنشطة الكلية. كل ذلك في أول شهر فقط. ولم تفوّت انتخابات اتحاد الطلبة. وظلت محافظة على جميع أنشطتها حتى حصلَت على الطالبة المثالية في أول سنة. كنت أنا التالي لها دائما. حتى في الدراسة. احتلت هي الصدارة. وجئتُ تاليا لها. طوال الصيف الفاصل بين الفرقة الأولى والثانية وأنا أعد نفسي للهجوم المباشر عليها في السنة التالية. وبالفعل. تحديتها علنا. لم تأبه لي. ظلت على تفوقها في جميع الأنشطة. واستمالت لحزبها معظم طلبة الدفعة. لكنني استطعت اجتذاب من رآها بعيني. مغرورة لا تطاق. للأسف حافظت هي على تفوقها عليّ في الفرقة الثانية. الفروق بيننا ضئيلة.

قررتُ أن أكتسحها هذا العام. لن أتركها تظفر بكل شيء وحدها. لو حافظَت على تفوقها هذا العام. ستكون أقرب الطلبة لتصبح معيدة. ويظل حلمي في مهب الريح. لا أعرف هل سيعين القسم طلبة غير الأول. لكن في كل الأحوال. الكرة لا زالت في الملعب. انتبهتُ على كلمات جابر المتعجب.

يطلب مني أن أؤجل التعارف إلى ما بعد المحاضرة. واختار أن يجلس وحيدا في بنش طرفي. لم ألاحظ ما قالته لي... فريدة تلاحقني بعينيها. إذن. الفتاة لن تتنازل. وستظل هي أيضا تحارب لكي أبقى خلفها. لن أترك لها الفرصة أبدا. طلبت من الدكتور أن أغير مكاني. فجلستُ بجوار جابر. الذي يبدو أنه غير مرتاح لما أفعله. قلت له بصوت خفيض أن هناك صراعا عليه. ولابد أن يكون معي. فأنا الشاب هنا. ابتسم متعجبا من غرابة ما عرضته عليه. رأيت في عينيه اتهاما مباشرا لي بالطفولة. نعم يا صديقي. أنا طفل. متمسك حتى النهاية بحلمي الكبير. ولن أسمح لكائن من كان أن يأخذه مني.

بعد المحاضرة قام جابر ليتعرف على الزملاء الذين تجمعوا حوله للترحيب به. بدا عليه بعض الخجل من سلام الفتيات عليه. وفاجأنا بأن أخبرنا أنه متزوج. نظرت لفريدة فوجدت عينيها متعلقتين بي. ثم انفجرنا معا في ضحك حقيقي. زاد إحراج جابر. فقد وضح أنه ريفي القالب. حوّل من كلية في مدينة ريفية بسبب ظروف عمله التي لم نكن نعرفها بعد. انفض الجميع من حوله وظللت بجواره أنبهه إلى أن الحياة الشخصية لكل زميل تخصه وحده ولا أحد فينا يهتم بها. شعرت ببعض الراحة في كلماته بعد أن هدأ وارتاح لكلامي. ايقنت أنني قد سيطرت عليه. وتأكد ذلك حين دعاني لتناول الإفطار بعد المحاضرة في مطعم فاخر بجوار الكلية. طلبت منه أن نصطحب شلتي الثلاثية فوافق دون تردد. انتصرتُ إذن على فريدة. كان هذا

أجمل شعور منذ بدأ العام الدراسي. استبشرت به خيرا. هذا عام تعويض كل ما فات.

في اليوم التالي بحثت عن جابر في كل مكان. وجدته في الكافتيريا مع فريدة وشلتها. ارتدّت إليّ فرحتي في قلبي فأحبطتني بشدة. فريدة لا تستسلم بسهولة أبدا. اقتحمتُ عليهم خلوتهم. ونظرت إلى جابر بغضب. ضحكت فريدة بعد أن نظرت لي طريلا. لم أفهم سر انشراحها المبالغ فيه كلما رأتني. قلبها أسود وتحب التشفي لا شك. جلست مع جابر الذي بدا عليه بعض الغضب بسبب اقتحامي للجلسة بهذه الطريقة. اعتذرت له فابتسم. انتبهتُ للمرة الأولى أنه يرتدي ملابس جديدة تماما مختلفة عن ملابس الأمس. وبراندات مختلفة أيضا. سألته عندها عن عمله. تجاهل حديثي وهو يسألني عن كل هذا التنافس بيني وبين فريدة. هدأت. وطلبت منه ألا يخبر أحدا. ثم أخبرته عن حلم عمري الذي تتفوق عليّ في تحقيقه. وهي أقرب له مني في الحقيقة. أخبرني أنه منتقل من كلية ريفية بسبب التوسع في العمل العائلي. وأصبح هو مسئولا عن فرع محلاتهم الجديدة في المدينة. يمتلكون مزارع للماشية وسلسلة محلات للجزارة.

فاجأني تماما. جزار؟ كل هذه الأناقة. بالتأكيد وضعه المالي الجيد واضح. لكن. جزار؟ لاحظ مفاجأتي. أتبع حديثه أنه تأخر كثيرا في التخرج بسبب عدم التفرغ. قضى في الفرقة الثالثة وحدها ثلاث سنوات. حتى نجح أخيرا. مما سمح له بالإنتقال الى المدينة. وينوي أن ينهي الكلية في هذا العام

لذلك سينتظم في الدراسة. لم أعقب على كلامه كثيرا. ولا يهم ماذا يفعل. جزار؟ هو شخص خطير إذن. لم أعرف ماذا أفعل. كيف أنتقم من فريدة وتعديها على أحلامي.

دخلتُ إلى المدرج حزينا مهموما. اقتربت مني فريدة وطلبت الحديث معي على انفراد. تعجبت كثيرا من طلبها. تريد أن تؤكد على انتصارها الجديد. سألتني عن سبب حزني.. كيف عرِفت؟ تراقبني إذن. بجفاء بالغ أخبرتها أن هذه أمور شخصية لا أحب أن تتدخل فيها. لأول مرة في حياتي أرى الدموع في عينيها. تركتها وتحركت عائدا نحو المدرج. فوجئت بوجود الجزار بالقرب منا. يبدو أنه شاهد الموقف كله. نظر لي بسخرية غريبة. وحدثني:

- تعرف. طوال عمري أتعامل مع البهائم. لديها مشاعر حقيقية. وتستطيع تمييز من يحبها ممن يكرهها.. لقد أعماك طموحك عن رؤية حقيقة واضحة للجميع. فريدة تحبك. أيها الغبي...

2020-4-12

****

الضائعة

أجبره القسم الذي سجل فيه لدراسة الماجستير على حضور مادتين من الفرقة الثانية لاستكمال مقررات التسجيل. معنى ذلك ضياع عام كامل. لأن النتيجة تعلن بعد انتهاء تسجيل مواد التيرم التالي. لم يجد بدا من الموافقة على ذلك لاحتياجه الماس لإنهاء الدراسة في أسرع وقت ممكن كي لا تضيع عليه فرصة العمل المنتظرة في البلد العربي الغني بديلا لأحد معارفه بعد أعوام قليلة. دخل محاضرة المادة الأولى. شاب واحد وأربعة فتيات. نظروا له بتعجب. فرق العمر واضح بينهم. أخبرهم أنه طالب دراسات عليا. لم يفهموا المفارقة. لكن تحول تعجبهم إلى إعجاب. اقتربت منه على الفور الفتاة الأجرأ بينهم. تأملها. طويلة. أنيقة. وجهها ممتلئ بحب الشباب. منفر قليلا. لكن جمالها واضح. تملأ شفتيها بروج أسود. مدت يدها تسلم عليه. تأمل أصابعها. مسحوبة. تنتهي بأظافر مبرودة ويغلب عليها اللون الوردي. تضع ألوانا مركبة للأظافر. يغلب عليها الأسود أيضا. مكان الدبلة. يوجد خاتم متميز. لابد أنها من أسرة مرتاحة ماديا. انتهى تأمله لها مع سحب يدها بشيء من النعومة. ابتسم قليلا. هجوم مباشر للسيطرة. الأنثى هي الأنثى إذن. تعرّف على بقية الزملاء. اسمها غادة. اسم يليق بها كثيرا. بعد خروجه من المحاضرة. تبعه الشاب الوحيد في

المجموعة. سأله عن رأيه في القسم الذي ينهي فيه دراسته العليا. لأنهم سيتخصصوا في العام التالي ويحتاج لرأي خبير. أخبره أنه قسم نظري يناسبه لو له ميول نظرية. كما أن الدكاترة متعاونون نسبيا. شكره الشاب. بمجرد أن تحرك. وجد غادة تقف خلفه تماما. وكأنها في انتظار دورها. ابتسمت له. ومدت يدها مرة أخري بكل جراءة لتأخذ يده. سار معها عطية ليعرف ما تريد. دعته إلى الإفطار. وافق على أن يدفع هو الحساب. تأملها بهدوء بنظرة ذكورية فاحصة. تلك الحبوب اللعينة تخفي جمالا حقيقيا. عودها ملفوف في رقة وتوازن. ابتسامتها مشرقة بشوشة. تبدو مقبلة على الحياة. لكن. شيء في نظرة عينيها غير مطمئن. جلست أمامه واضعة قدما على قدم. دون أن تأبه كثيرا لظهور قدميها حتى قرب الركبة. ظن أن حجابها يفرض عليها ألا يظهر أي جزء من جسدها. فسارع بتنبيهها. ابتسمت بخباثة واضحة..

-كما توقعت. كنت تتفحصني. وهذا جيد. لا تقلق. أنت إنسان طبيعي. لا تدعي الطهارة الزائدة والعفة المبالغ فيها. ذلك يسعدني. ويشعرني بأنوثتي. وأنني مرغوبة. رغم حب الشباب اللعين الذي يهاجمني...

أربكته جراءتها بشدة. في أحسن الأحوال عمرها قد تعدى الثمانية عشر. وهو قد تعدى الثلاثين بعامين. لا يوجد أي توافق عمري أو ذهني بينهما. رغم أنها تبدو أكبر من عمرها عقلا. وتصرفاتها تليق بأنثى بالغة. عقب بغضب على حديثها:

-لن أنظر إليك أنت يا صغيرتي. أنا أنبهك فقط. وأنت حرة في نفسك.
تلقت انفعاله بابتسامة جديدة. وأخذت نفسا عميقا..
-أحتاج إلى الحديث مع إنسان ناضج له خبرة في الحياة مثلك. وأرجوك. لا تجعل العمر عائقا بيننا. اعتبرني زميلتك. وانزل قليلا إلى مستواي العقلي..
أدرك أنها تنصب له شركا من نوع ما. لكن ثقته في خبرته وتجاربه جعلته يقبل التحدي. بكل هدوء طلب منها أن تحكي له مشكلتها. لم يكن حديثها مرتبا. تكلمت عن والدها المهندس الذي يمتلك مصنعا للملابس. ووالدتها الطبيبة التي تمتلك عيادة. وشقيقيها الأصغر منها. بعد لف ودوران كثير. أخبرته أنها على علاقة بشاب في مثل عمره. منذ عامين. وتريد أن تعرف مدى صدقه. سألها عن طبيعة العلاقة. أخبرته بعد تردد أنها ذهبت إلى شقته عدة مرات. دون أن ينال منها أكثر من قبلة أو قبلتين. نظر لها غير مصدق لما تقول. لا يمكن. قبلتين؟ ابتسمت وهي تتوقع أنه لن يصدق. فحدثته عن الحب الطاهر. الذي يجب أن يمارس في الواقع. بطريقة عملية. فهم تلميحها. هكذا تصبح الأمور منطقية. سألها مباشرة. لماذا تخبره بهذه القصة. صمتت قليلا. وظهرت دموعها. لقد غدر بها ذلك الشاب. وتزوج من فتاة أخرى. تقاربه في العمر. أخبرها بصراحة أنها كانت مجرد نزوة. وانتهت لحالها. وقد حافظ على عذريتها. فلا شيء لها عنده.. للمرة الثانية يسألها.. لماذا تحكي له هذه الحكاية.. نظرت له طويلا. وطلبت منه أن يتمشوا قليلا. سألته بعد الخروج من الكلية إن كان يمتلك

شقة مستقلة. رغم أنه فعلا يمتلك. إلا أنه أنكر ذلك. وأخبرها أنه يعيش مع أهله..

-أنت شاب أنيق يا عطية. طموح. تعمل. وأنا فتاة مستقلة. أعيش هنا بمفردي. عائلتي تعيش في مدينة ساحلية بعيدة. ولا يحضر لي أحد سوي مرة كل أسبوعين. شقتنا كبيرة وفاخرة. في عمارة ممتلئة بالعيادات والمكاتب. تستطيع أن تدخل وتخرج دون أن يسألك أي أحد. سنجلس معا. نتحدث. نتبادل الأفكار. نذاكر معا.

توقف عن المشي. نظر لها طويلا. قطب حاجبيه وقد بدأ غضبه يتزايد..

-أنت فتاة جريئة جدا. لم نلتقي سوى اليوم. ورغم ذلك تخرجين معي. وتحكين مغامرة عاطفية تعدت كل الحدود. ثم تطلبين مني أن أزورك في المنزل؟ هل تعتبرينني بديلا لذلك الشاب الندل؟ هل ترينني منحرفا أخلاقيا؟ ماذا سيقول الناس عندما يروننا معا.

بحزم شديد. مصحوب برعشة خفيفة في يدها..

-اسمعني. لا أحد يرفض هذا الطلب. مالا تراه أجمل كثيرا مما تراه. وعندي خبرة كافية ستنسيك اسمك. ولن تتكلف شيئا. سأقدمك لمن حولي على أنك مدرس في الجامعة. وسنعيش على الأقل عاما خارج الزمن. أتحداك أن ترفض عرضي السخي..

كل ما دار في رأسه في تلك اللحظة. أنها لابد مجنونة. أو مريضة نفسيا. أو تجره لشر أعماله. ظل صامتا مترددا. يتخيل أشياء عديدة. ابتسمت. واقتربت منه. حتى طبعت قبلة سريعة مسروقة على خده. وتركته بين نارين..

2020-4-13

****

مذهب الإمام رامي

اضطر رامي إلى السهر حتى صلاة الفجر محاولا اللحاق بما فاته من دروس ليعوّض المادة التي حملها من التيرم الأول، على أمل أن يتم رفعها لو حصل على تقدير جيد والدخول في لجان الرأفة. للمرة الأولى يعرف أن هناك صلاة مجمعة تتم في المبنى الجنوبي للمدينة الجامعية. توضأ جيدا وسارع للحاق بالجماعة. وصل إلى الدور الثالث في المبنى حيث القاعة الكبيرة مكتظة بالطلبة من الإخوان والسلفيين. يعرفهم من نوعية اللحى. المحدّدة للإخوان والطويلة للسلفيين. من خلال خبرته السابقة في المدرسة الثانوية والذي تأكد في أول أعوامه الجامعية. يعرف أن الإخوان فصيل واحد له قادة داخليين. أما السلفيون فمنهم عدة فصائل تتراوح بين المخالطون للعامة والإخوان وتتدرج في التشدد حتى تصل إلى التكفيرية الجهادية التي تؤمن أن المجتمع كافر وتغييره فرض عين ولو بقوة السلاح. أو الجهاد المقدس. بين كل ذلك الصراع. لم يكن رامي ومن مثله من الطلبة. وهم الأغلبية. يهتمون كثيرا بكل هذه التقسيمات. أو يفكرون فيها. حتى حدث الليلة الإستثنائي. شعر بالتوجس في عيون الطلبة من الطرفين. فهي المرة الأولى التي يرونه في الصلاة. بعضهم يعرفه. خاصة من الإخوان المنفتحين على الجميع. لكنهم لم يروا له ميولا دينية من قبل. وهو ما يقلقهم بشدة. لقد

أصبح منذ لحظة دخوله للصلاة محل اهتمام عيون الطرفين، حتى يطمئنوا إلى أنه غير مجند من قبل الأمن. بعد ما يقارب الثلث ساعة من وصوله. وقد ظن للحظات ان الصلاة قد أقيمت بالفعل بسبب طول فترة الإنتظار. قام أحد الشباب الذي يبدو من لحيته أنه سلفي بإقامة الصلاة. قبل أن تنتهي الإقامة. تقدم شاب متوسط الطول محدد اللحية للإمامة. فوجئ رامي بدخول شاب آخر كبير اللحية للإمامة. سَلفي إذن. دار الحوار الذي بدأه السلفي..

-بيننا عهد. إذا غاب الإمام الأساسي منكم. نتولى نحن الإمامة.

وقف الشاب الآخر ثابتا لم يتزحزح خطوة واحدة. ابتسم له تلك الإبتسامة الباردة:

-غير مسموح لنا أن نصلي خلف إمام منكم. ولقد تعاهدنا منذ زمن طويل. نحن الأكثر عددا وعدة. منا الأمراء ومنكم الوزراء..

-لا تتلاعب بما قاله أمير المؤمنين أبوبكر الصديق رضي الله عنه. المقام مختلف تماما. وقد كان اتفاقنا واضحا. منكم الإمام الأساسي. ومنا الإمام البديل. لا تنقضوا عهودكم أمام الله..

-اسمعني. لن تأمّونا أبدا. هذه تعليمات عليا. ولن أسمح لغير ذلك أن يحدث.

تراجع رامي للخلف. بعد أن بدأ التدافع بين الطرفين. حتى سقط بعض الشباب من شدة الصراع على سجادة الصلاة ذاتها. بعد دقائق من التدافع

الشديد. وجد السلفيون أنفسهم قلّة، فانسحبوا قليلا للخلف. بدأت مداولات بين الأطراف المتصارعة. رجع رامي للخلف أكثر ليرى الصورة كاملة. مال عليه أحد المنتظرين مثله وهمس في أذنه: تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى.. تعجّب من إسقاط الآية على هذا المشهد. لم ينتظم في المسجد طوال حياته. ولم تكن صلاة الجماعة في اهتماماته من قبل. لكن قلبه كان يدعوه دائما لضرورة المواظبة على صلاة الجماعة. جريا على عادات متأصلة في قريته. واقتداءً وجوبيا بوالده وبقية كبار عائلات القرية. تذكّر الشيخ عوض مقيم الشعائر بمسجد القرية. يرث المنصب في عائلته. دون أن يجرؤ أحد على التقدم في مسابقات الأوقاف غيرهم. كلما مات أو اعتزل سابقه. وكأن الدِّين يورَّث أيضا! حاول الشيخ عوض تجنيده عدة مرات. خاصة في المرحلة الإعدادية. مثل كل أقرانه من الصبيان. لكن شيئا ما داخله كان ينفر من الإجبار. رغم المغريات الكثيرة لشاب في عمره. دورات رياضية، رحلات سياحية، مكاسب مالية، مكانة اجتماعية. الهدف المعلن هو زرع التدين وحفظ القرآن وإحياء التراث. لاحظ عدة مرات تمجيدهم لبعض الشخصيات لدرجة المساواة بالأنبياء. وحيره كثيرا تقديسهم لبعض الكتب ومساواتها بالقرآن ذاته. لم يستطع عقله المشتت استيعاب كل ذلك. فلجأ إلى مسجد آخر أكثر خصوصية في أطراف القرية. رحبوا به في البداية. صبي يحافظ على بعض الصلوات في المسجد. بعد أول جمعة أطال فيها الخطيب عظيم اللحية حتى ظن الفتى أنه سيوصلها بصلاة العصر.

طلب منه شيخ المسجد أبوحذيفة أن يجلس معه قليلا. أملى عليه اشتراطات محددة ليستمر معهم. تبدأ من ملابسه التي يجب أن تكون قصيرة ويفضل أن يكون جلبابا واسعا فضفاضا. وعليه أن يعفي لحيته فمقامه سيوزن بعدد شعراتها. وعليه أن يبدأ فورا في حفظ القرآن على طريقتهم. وأعطاه عدة كتب ضخمة ليقرأ فيها. وحدد له مستقبله في كلمة واحدة.. على منهج السلف الصالح الذي نحدده لك في قائمة خاصة.

خرج من ذلك المسجد مقررا عدم الصلاة في أي تجمع ديني مرة أخرى. حتى صلاة الجمعة أصبح يتفادي الإستماع للخطبة ويركز فقط على الوصول مع أذان الإقامة. لم يلتفت إلى جميع النصائح التي تحولت مع زيادة عمره إلى تحذيرات ثم تهديدات من كل من حوله. القرية منقسمة إلى فرق حقيقية. فرقة مع اللحى المحددة وهم أغلبية. فرقة مع اللحى الكثيفة وهم أقلية. فرقة لا تهتم بالدين أساسا وهم الفرقة المتزايدة، خاصة في الأجيال الجديدة. عاد من ذاكرته على صوت صياح جديد. اللحى الطويلة تهدد اللحى المحددة بعدم الصلاة معهم مرة أخرى لو صمموا على رأيهم. وقد زادت أعدادهم بشكل ملحوظ. الفرقة التكفيرية المعتزلة جاءت بكامل هيئتها تساند الفرقة المعتدلة في تطرفها. بعد شد وجذب. سار أصحاب اللحى الطويلة بعد أن أفتى كبيرهم هنا أن الصلاة خلف اللحى المحددة محرمة من بعد اليوم. وقرروا اختيار المبنى المجاور ليتجمعوا فيه في كل الصلوات. صاح أصحاب اللحي المحددة.. الله أكبر. وكأنهم استعادوا القدس من الإحتلال

اليهودي. وبدت الفرحة الغامرة على وجوههم. وقف مؤذنهم ينادي للصلاة. لم يتحرك رامي وزميله من مكانهما. تركوهم حتى أنهوا صلاتهم. وبعدها حضر إليهم أحدهم وسألهم عن سبب عدم مشاركتهم في الصلاة.. فأجابهم رامي وهو يتحرك عائدا إلى غرفته:

-سنصلي. على مذهبنا الخاص. الذين بلا لحية..

2020-4-14

****

الصّفقة

جلس موسى بجوار مدخل الكلية يتأمل حركة زملائه الطلبة كعادته حين يكون هناك ما يشغل باله. رغم سعادته البالغة بعد ظهور النتيجة الإبتدائية للتيرم الأول له في الكلية ولم يحمل أي مواد. في انتظار تعليق التقديرات. إلا أنه شعر أن الصراعات التي تدور حوله تخرجه عن تركيزه شيئا فشيئا. يصبر نفسه لإنهاء السنة الدراسية بطولها وعرضها كي يتمكن من ترك القاهرة والعودة إلى محافظته. لم يستطع الإنتقال في بداية العام لتأخر إجراءات تسجيله لأنه من أبناء المرحلة الثانية في التنسيق. قضى التيرم الأول بدون هوية واضحة. يتعامل مع جميع التيارات والإتجاهات دون تحفظ. لذلك تجاذبته التيارات الفكرية المختلفة المنتشرة في داخل الكلية. أخرجه من استغراقه في تأملاته صوت ينادي باسمه. التفت ليجده أيمن زميل دفعته. اقترب منه بابتسامته اللزجة وملابسه غير المتناسقة دائما. بعد بعض العبارات التقليدية. سأله عن أحواله ومخططاته. أخبره موسى أنه لا يخطط لشيء محدد. فقط إنهاء التيرم والتحويل إلى الكلية في محافظته لأنه لم يعد يطيق المدينة الجامعية. ابتسم أيمن بلزاجة. وطلب منه الحديث باستفاضة عن مشاكله لعله يستطيع التخفيف عنه. لا مشاكل حقيقية غير الإغتراب والوحدة. أجابه باقتضاب. ابتسم أيمن

وطلب منه الإندماج وسطهم وسيمنحونه أهلا وصحبة. ولن يجد أفضل منهم ليعيش بينهم. خاصة أن الدين وتعليماته هو محور حياتهم. وزيادة في الألفة في تبادل الثقة. فقد قررت قيادتهم في الكلية اختياره عضوا في اتحاد الطلبة العام التالي. على اعتبار أنهم يضمنون الفوز بها كل عام. تعجب موسى وسأله عن سر كل هذه الثقة في الفوز بانتخابات لم تقم بعد. اتسعت ابتسامة أيمن اللزجة الواثقة. وأخبره أن العدد في الليمون..

-المهم النظام. والتنظيم. نحن كتلة واحدة يا صديقي. رأينا واحد. لا توجد معارضة داخلية. لأننا نثق في قياداتنا ثقتنا في الأنبياء والصحابة. فلا يجوز لنا مخالفتهم. وكل أخ له منا كل الإحترام والتقدير.

ابتسم موسى للمرة الأولى. وامتلك زمام الحوار

-منتهى الديكتاتورية. تتنازلون بكل بساطة عن عقولكم وأحلامكم. وتسلمون مقودكم لآخرين يقودونكم كال... فلنجعلها كالعبيد. اسمعني يا أخ أيمن. لو استمررت هنا العام القادم. سيكون لي شرط واحد للموافقة على طلبكم.

-وهو.

-أستمر حرا. لا أحد يملي علي تصرفاتي. ولن ألتقي مع قيادات أو أخضع لتدريبات. والأهم. لا تلزموني بالصلاة في مسجدكم أو حضور درس الثلاثاء المقدس.

نظر له أيمن مطولا. نظرة تحمل مزيجا من الدهشة والاستنكار. وكأنه يخطئ في الذات الإلهية ويتعدى حدوده في المساواة بالأسياد. هز رأسه عدة مرات. وتركه دون أن يرد عليه.

ظل موسى في مكانه المتأمل أكثر من ساعة بعدها. ثم عاد إلى المدينة الجامعية مرهقا فكريا أكثر من إرهاقه الجسدي.

عاد الي غرفته بالمدينة الجامعية يجر أقدامه. نام قليلا بملابسه ثم نزل إلى مطعم المدينة ليلحق بوجبته. جلس يتأمل في قطعة اللحم المجهرية وكمية الأرز والفاصوليا المحددة بدقة. مع قطعة كنافة صغيرة مغموسة في عسل السكر حتى فاضت في الطبق متعدد العيون. ابتسم حين تذكر غذاءه الأخير في المنزل. أمه توصّت به أكثر قليلا من كل مرة. لأنها شعرت بانخفاض وزنه وزوغان عينيه كما قالت له. بدأ في تناول الطعام. جلس بجواره شاب أكبر قليلا منه. يراه بين الحين في الحين في الجامعة والمدينة. حيّاه بإشارة من يده. بادله فهيم التحية وهو ينظر إلى الطبق الممتلئ حتى آخره بالرز والفاصوليا واللحم. حتى أنه يتميز بسلطة تبدو طازجة. مع تفاحة حمراء ضخمة اشتهاها موسى على الفور. وموزة و قطعة كبيرة من البسبوسة. نظر مرة أخرى للشاب الأخير مندهشا. بدأ ذلك الشاب في تناول طعامه. وبدأ معه حديثه..

-أنا رفيق. تالتة حقوق. زميلك هنا في المدينة. ومن مدينة قريبة من مدينتك. وأعرف كليتك ومدرستك الثانوية.

ازداد تعجب موسى. كيف عرف كل هذه المعلومات؟

قدم رفيق الطعام لموسى. داعيا له لمشاركته وجبته المميزة. لم يهتم موسى على الإطلاق بعرض رفيق. رغم اشتهائه للتفاحة. بل أكمل طعامه بهدوء. ثم أعاد طبقه إلى المطبخ وخرج في اتجاه السلم. لكن رفيق دعاه مرة أخرى بإلحاح لشرب الشاي معه. غلب الفضول على موسى لمعرفة سر هذا الإلحاح من هذا الشاب الغامض. جلسا على مقعدين. متواجهين في شرفة المبنى. وبدأ رفيق حديثه بلهجة فيها الكثير من الثقة والغرور:

-نريدك أن تقبل العرض الذي قدمه لك أيمن اليوم..

تحولت كل ملامح موسى إلى الصدمة أكثر من الدهشة. لا إراديا بدأ في تفتيش نفسه متأثرا بذكريات كثيرة عن أفلام الجاسوسية التي يعشقها. بحثا عن تلك الحشرة المزروعة في ملابسه لنقل أفعاله وتصرفاته. ضحك رفيق من قلبه حين شهد ما يفعله موسى. ثم أتبع:

-لم نعرف منك يا صديقي. لا تقلق. لدينا عنصر آخر داخل تنظيمهم. وعرفنا منه أنهم يسعون لتجنيدك. وراقبنا عرض أيمن لك اليوم.

-لماذا تتحدث بصيغة الجمع.

-لأني أتكلم باسم جهة رسمية. ولدينا عرض محدد لك. النجاح كل عام بتقدير جيد على الأقل. مجرد أن تضع اسمك في ورقة الإجابة لأي مادة. راتب شهري جيد. المشاركة في جميع الأنشطة الثقافية للكلية. وظيفة في أي مجال تحبه بعد الكلية. مثل الصحافة والإعلام والخارجية.

-أريد العمل في صحيفة الأهرام.

-كما تحب. كل المطلوب منك أن تندمج معهم. وتنقل لنا كل ما يحدث. ويجب أن تعلم. أن هذه المقابلة هي الأولى والأخيرة. سأعطيك يومين للتفكير. لكن. لو ذكرت أي كلمة لأي مخلوق. سنعلم. وستحزن كثيرا.

نظر موسى طويلا لرفيق. قام دون أن يرد عليه. ثم نظر طويلا للتفاحة الموجودة في طبق رفيق. الذي ظل في مكانه دون أن يتم رفعه. سار ناحيتها. أخذها معه. ومضى في طريقه..

2020-4-15

****

الأستاذ الدكتور

بدأ صعود الدرجات السبع التي تفصل بين مكتبه ومدرج المحاضرة المخصصة للفرقة الرابعة بمنتهى الهدوء والتأني. كان قد اتخذ قرارا بالإعتذار عن التدريس في هذا التيرم الأخير لهذه الفرقة. لكنه عاد وقرر أن لا شيء يستحق أن يترك تيرما كاملا دون تدريس. سيمر كما مرت عشرات التيرمات من قبل. قبل أن يجبر على ذلك. عمره يقارب الخامسة والخمسين. لكن لياقته المرتفعه وأناقته الدائمة ومواظبته على الرياضة والطعام الصحي لم يجعل حتى الشعر الأبيض يتسلل إلى شعره. أخذ نفسه الأول عند أول درجة. تذكر زوجته. لا يعرف لماذا هاجمه هاجس اللقاء الأول معها. كان يناقش الماجستير وحضر أستاذه في قسم آخر وعرفها عليه. كانت شابة هادئة وديعة تقف بجوار والدها دون حركة بينما تختلس نظرات له. تحاول أن تتأمله. أخبره والدها أنه قد تم تعيينها معيدة في أحد الأقسام في الكلية. وهي عزباء. ابتسم له أستاذه وهو يضغط على كلمة أنها غير مرتبطة. فهم الرسالة وتعلق بها. فارتباطه بابنة أحد أساتذته معناها تسارع كل خطواته القادمة. واختصار سنوات طويلة. والأهم أنها أيضا في نفس مجاله. سيتشاركان رحلة الماجستير والدكتوراة وبعدها حياة علمية خالصة. ربما تكون نمطية قليلا. لكن الفتاة جميلة وتبدو وديعة وبالتأكيد ذكية.

فمهما كانت مساعدة والدها لها. لن تصل إلى التفوق والحصول على المركز الأول.. صعد خطوة أخرى. شعر أن أنفاسه تتوقف فعليا. فاضطر إلى تثبيت خطوته. هاجمته ذكرى ليلة الزفاف. بعد عام تقريبا على الماجستير. قضاه بين التسجيل والتعرف على الفتاة والتدريس في الكلية. عام مزدحم جدا بالأحداث. توّجه الزواج بعد حصوله على شقة من مخصصات أعضاء هيئة التدريس وقف له فيها كل أساتذته متعاضدين مع حَماه الذي دفع له مقدم ثمنها هدية الزواج. على أن تكون باسم ابنته. لم يتوقف طويلا عند هذه التفصيلة. فقد تمت بالتراضي بينهم. واقتسموا مصروفات التجهيز والزواج. في تلك الليلة دخل إلى شقته حاملا عروسه السعيدة بعد ليلة متميزة حضر فيها رئيس الجامعة وعميد الكلية وكثير من أعضاء هيئة التدريس.. دخلت زوجته متدللة تبدل ملابسها. بينما ظل هو غير مصدق لكل ما حدث خلال العام. للمرة الأولى يجلس لالتقاط أنفاسه على فراش الزوجية. شعر أنه قد تم اختطافه. سرقوه من أبحاثه وأحلامه. بل اغتصبوا مستقبله حرفيا. لم يستطيع أن يتقبل الأمر. شعر بغثيان شديد. دخل في دوامة مرضية استمرت أكثر من أسبوعين وسط تعجب كل من حوله واتهامهم بالعين الحاسدة لمثالية الزواج الذي يحلم به كل شاب وشابة. لم تهدأ صراعاته إلا عندما عاد للعمل. واستمر لمدة شهرين غير قادر على الإقتراب منها جسديا. حتى بدأت الأصوات تعلو بضرورة زيارته لطبيب. أو شيخ لفك الربط..

أخذ نفسا جديدا وصعد خطوته الثالثة. وخطف الرابعة والخامسة معها. لكن قلبه المرهق أرغمه على التوقف. بعد إنجاب ابنه الثاني وحصوله على الدكتوراة. نال أخيرا ما كان يحلم به. إعارة إلى إحدى الدول العربية. استمر فيها لعشرة سنوات. ثم جددها في دولة أخري لخمسة سنوات. وضع كل همه في النجاح العلمي. عاد رئيسا للقسم. ثم سريعا أصبح عميدا للكلية. وقد رفض تماما أن ترافقه أسرته طوال رحلة السفر. فتحولت العلاقة بينه وبين زوجته وولديه. إلى علاقة جافة خالية من أي روح. وهو ما أراده دائما. حتى كان ذلك اليوم. وهو عميد للكلية. ومرشح ليصبح وزيرا. دخل المحاضرة للفرقة الأولى متعجلا بعد أن رفض التنازل عن دوره كدكتور في الجامعة وصمم على أن تكون له مادة في كل سنة. مع طلبته في الدراسات العليا. في نفس هذا المدرج. دخل مستبشرا كعادته في اللقاء مع الأجيال المتتالية التي يستمد منهم قدرته على مواصلة الحياة. وبعضهم أقرب إليه من أبنائه. دخل المدرج ووقف حيث يقف الأستاذ. والدفعة كلها في حالة انبهار بالعميد الذي تبدو عليه معالم الشباب أكثر من بعض زملائهم. شاهدها تتصدر البنش الأول. شيء ما في أعماقه صرخ فجأة. شيء ميت اعتقد طوال عمره أنه لا وجود له. بل انتقد لسنوات طويلة موته العجيب داخله. كم حاول أن يستثيره. أو يغريه. أو ينتقم منه. لكنه لم يكن هناك أبدا. ما الذي يحدث؟ لم يرفع عينيه عنها. مما أحرجها كثيرا. لم تبلغ الثامنة عشرة بعد. لكن جسدها الفائر جعلها تبدو أكبر من عمرها. مبتسمة.

دائرية الوجه. رقيقة الملامح. تميل للطول قليلا. شعرها قصير لكنه مناسب لوجهها. تأمل كثيرا في تفاصيلها. حتى انتبه إلى انها طالبة صغيرة في الفرقة الأولى. وهو الأستاذ الدكتور العظيم عميد الكلية، وزوجته الأستاذة الدكتورة رئيسة القسم، وله ابنان احدهما أصبح وكيلا للنيابة والثاني ضابطا في الجيش. رب أسرة مثالية. الجميع منبهر بهم. خاصة أن مشهدهم أمام الناس دائما مرسوم بعناية. طلب من الطلبة أن يعرفوا أنفسهم في المحاضرة التي لم يقل فيها شيئا يذكر. شيرين. لم يستمع لأي اسم آخر. هي شيرين إذن. صعد الدرجة قبل الأخيرة. وهو يستعرض أصعب سنوات عمره. حرفيا. ظلت تتردد عليه في مكتبه. قاومها بشدة في البداية. حتى أنه أهانها. بدون مبرر. لكنه عاد وفتح له حياته كلها. أصبحت تملأ عليه كل ذرة من كيانه. لم يعد يستطيع الإستغناء عنها. طلب منها أن تكون قريبة منه. هي وزميلتين لها. حتى تساعده في مراحل تطوره العملي. خاصة بعد أن رفض الترشيحات المتتالية له كرئيس للجامعة وحتى كوزير ولا أحد يعلم أنه من المستحيل أن يقبل بمنصب يبعدها عنه. صعد السلمة الأخيرة. ليودع طلبته. بعد أن قرر قبول الترشيح الأخير له كوزير. ولم يجد مبررا جديدا للرفض. دخل المدرج بقلب ميت. جسده يهتز. مشاعره ترتجف بشده. ويزداد عنف الصمت بدرجة غليان البركان داخله. كانت هناك. في مكانها الدائم. أو مكانه المفضل. وسط البنش الأول. أعلن لهم أنها المحاضرة الأخيرة. وأنه اضطر لقبول الوزارة. لم يلمح أحد دمعته المكتومة.

وهو يتخيل حياته الروتينية القديمة.. وهو خارج. سمع اسمه بنغمة موسيقية تشعل قلبه وتبث الحياة في روحه. اقتربت منه بهدوء. باركت له. وهمست في أذنه. سوف أكمل دراستي العليا. وأريدك أن تكون المشرف على حياتي..

2020-4-16

****

الأستاذة الدكتورة

وصل الدليفري إلى القسم أخيرا، ما أن استقبله الفراش وأوصله إلى مكتب الأستاذة الدكتورة. حتى انسحب ووقف بعيدا يراقب الموقف المتوقع. من داخل الباب سمع القسم كله صوت الدكتورة العصبي جدا وهي تغسل عامل التوصيل حرفيا. لها موعد محدد لكل شيء. موعد حضورها إلى الكلية ثلاثة أيام أسبوعيا. محاضراتها للدراسات العليا بعد أن اعتزلت الدرجات الأدنى. النسكافيه بقهوتها ومكوناتها الخاصة. موعد الغذاء المكون من ثلاثة متغيرات الشاورما وربع دجاجة والفيليه. مع سلطات كول سلو وعصير برتقال طازج في تمام الثالثة. المطعم قريب من الكلية. وهو روتين مستمر منذ عدة سنوات. خرج الفتى بعد تقديمه سيلا من الإعتذارات. ربع ساعة ليست كثيرة ليحدث كل ذلك. قبل أن يخرج تلقى هاتفا من عمله. لقد تم الإستغناء عن خدماته. وقف مذهولا. وسأل الفراش عن هذه السيدة المتوحشة. ودمعة تتراقص على طرف عينه. ضحك الفراش وأخبره أنها شخصية لن تتكرر في حياته. دق عندها جرس الإستدعاء فاهتز الفراش بشدة وجمع ارتباكه مسرعا ناحية غرفة الأستاذة الدكتورة.

دخل الفراش غرفة الدكتورة الأنيقة وهو يرتعد. طلبت منه أن يكون النسكافيه أمامها في خمسة دقائق. ممتطيا بساط الريح خرج من غرفتها

محاولا إيقاف الزمن ليحضر لها طلبها قبل أن يكون آخر يوم في عمله هو الآخر. هو مستعد دائما طالما هي موجوده. الماء ساخن. قهوتها الخاصة بجواره. المج الخاص بها يأخذه منها فور وصولها ويغسله عشرات المرات ويظل في وضع الإستعداد دائما. خاصة وأنها المرشحة الأولى لرئاسة القسم في العام التالي.

هدأت أخيرا وهي تحتسي قهوتها بالشكل الذي تفضله. وصلت الساعة إلى الثالثة والنصف. تمنت في داخلها أن يتأخر سامح لدقيقة واحدة لتوبخه بشدة. ثم تمنعه من من المحاضرة وتعاقبه بقراءة عدة مراجع نادرة ومناقشته فيها. لكنه كان على الباب في الموعد بالثانية. أخذت نفسا عميقا وسمحت له بالدخول. فاجأها بالإستئذان لوالده ليدخل معه. تعجبت من هذا الطلب الغريب. فالشاب الذي تخرج منذ عامين ليس صغيرًا ليحضر ولي أمره معه. خاصة أن هذا هو التيرم الثاني له في الدراسات العليا. وهي مشرفته الأكاديمية. وقد أظهر الفتى التزاما حرفيا بتعليماتها.. سمحت له بالدخول على مضض. دون أن تستفسر عن سبب حضوره. تأملت خطواته الواثقة وهو يدخل. خمسيني على أقصى تقدير. يرتدي بدلة أنيقة. أسمر قليلا. وسيم.

جلست في مكتبها المتميز المحاط بعديد من الديكورات الخاصة التي صممتها بنفسها. قدم سامح والده لها.. المهندس عزيز عادل. مدير عام

بشركة خاصة. مد المهندس عزيز يده لها. وهو يتأملها. أربعينية جميلة، ترتدي بدلة زرقاء كاملة، ويبدو عليها أنها رجالي أيضا. ابتسم للملاحظة. فلاحظت الأستاذة الدكتورة ذلك. لكنها لم تعقب على الفور. طلبت منهما الجلوس وقد حانت منها التفاتة سريعة إلى زواجها الذي امتد عدة سنوات ولم يسفر عن أطفال بسبب اختلاف الطباع الحاد. فهي مغرمة بالتفاصيل، وهو بوهيمي كما أطلقت عليه دائما. حتى لم يعد يحتمل فانفصل عنها بهدوء. رغم أنها أعلنت سعادتها بذلك الإنفصال. إلا أن فكرة أن الرجل قد طردها من حياته ظلت تسيطر عليها حتى حولتها إلى آلة دمار شامل مسلطة على أي رجل في محيط حياتها. في تلك الفترة المتقلبة ظهر سامح في محيط حياتها. وقد بدا شديد الإنضباط فركزت معه قليلا ومنحته الكثير من وقتها وتركيزها. حتى كانت المرة الأخيرة التي أبدت له إعجابها وتمنّت أن تلتقي بمن عوّده على هذا النظام. ابتسمت حين تذكرت هذا التفسير الأخير. يبدو أن سامح الملتزم قد أحضر لها والده ملتزما حرفيا بما قالت..

رحبت بالمهندس عزيز. الذي امتدح أناقتها أولا. ثم أخبرها أن سامح هو كل حياته بعد وفاة والدته. لهذا فلا يرفض له طلبا أبدا. وقد رباه على الإلتزام الكامل واحترام الجميع. بحب. دون ضغط أو عنف.. اعتدلت الأستاذة الدكتورة في جلستها. ولمعت عينها وهي تعقب على كلامه.. محظوظ سامح بوالد مثلك. يبدو أننا سنلتقي كثيرا...

2020-4-17

رئيس القسم

دخل مكتبه منتشيا بانتصاره المدوي على منافسه المسالم نسبيا بعد عام حافل بالصراع الذي احتدم ووصل إلى رئيس الجامعة. الرئيس المنتهية ولايته للقسم حصل على التجديد عامين من قبل. ومعنى حصوله على تجديد آخر أن ينهي فرصة غريمه الأخيرة في رئاسة القسم . بعد جلسة ودية انتهى كبار الدكاترة إلى ضرورة اعتذار الدكتور شاهين عن قبول أي تمديد محتمل. ليتولى الدكتور أمجد رئاسة القسم. فعل ذلك الدكتور شاهين مضطرا. فرئاسته للقسم مكنته من الحصول على مجموعة من طلبة الدراسات العليا المتميزين ماديا. مما أثار حنق غريمه التقليدي الدكتور أمجد. مع رؤيته للهدايا المستمرة وحفلات الجاتوه التي كررها الطلبة في مكتب الدكتور شاهين. كانت سنوات عمره الثماني وخمسين حافلة بأحداث متلاحقة. لم ينل أي شيء بسهولة. خروجه من قريته الفقيرة بمجموع متوسط أدخله لكلية متوسطة كان معجزة، في ظل سفره اليومي طوال سنوات الثانوية العامة للمركز الذي يبعد عشرة كيلومترات حيث توجد المدرسة الوحيدة للثانوي في المنطقة. وكم مرة ذهب وعاد سيرا على الأقدام لعدم وجود القروش القليلة اللازمة للسيارات المكشوفة التي سببت له كثيرا أمراضا صدرية عنيفة. جعل حلم حياته أن يصبح معيدا في الكلية. سخر

حياته لهذا الهدف. ستة عشر ساعة يومية للمذاكرة. لا يكل ولا يمل. ورغم فهمه المتوسط وعدم قدرته على التعامل مع المواقف التي تحتاج إلى ذكاء خاص. إلا أنه أخلص حتى استطاع في النهاية تحقيق حلم حياته والوصول إلى المركز الأول في الكلية. تم تعيينه كمعيد. رغم انتصاره العظيم. إلا أنه اصطدم بالفارق الإجتماعي الكبير بينه وبين وسط أساتذة الجامعة. أورثه ذلك انعزالا جديدا وإصرارا على الإنتهاء من الماجستير والدكتوراة في أسرع وقت ممكن. تقرب لدكتور علم أن له نفس خلفيته الإجتماعية الفقيرة. والذي استطاع تجنيده في جماعة فكرية دينية تمنح لأعضائها ما ينقصهم من احترام مجتمعي. تبناه حتى حصل على الماجستير. بوضوح عرض عليه ابنته ليتزوجها. لكن الدكتور أمجد كان يضع عينه علي ابنة أحد المديرين في الكلية. بعد أن علم أنها ابنته الوحيدة وهو يملك عمارة فيها شقة فاخرة مؤثثة والفتاة تعمل في الكلية وتمتلك سيارة خاصة. وعد أستاذه باستكمال الزواج بعد الدكتوراة التي أنهاها في وقت قياسي. كان خلالها قد خطب الفتاة الغنية وطلب من عائلتها عدم الإعلان عن الخطبة إلا بعد المناقشة. وكان قد رتب مع جامعة عربية على الإنتقال لها في الموسم الدراسي التالي. ظل يماطل أستاذه حتى قام بشكواه لشيخ جماعته متهما إياه بإجباره على الزواج من ابنته. وكانت المفاضلة الفورية في صالح الدكتور الشاب مستقبل الجماعة في الكلية. وقبل أن يفيق أستاذه من الصدمة الأولى. كان الدكتور أمجد قد سرب للأمن معلومات مؤكدة لانتماء

الأستاذ لجماعة دينية تمارس السياسة سرا. أعلن زواجه قبل سفره مباشرة. مبديا حزنه وألمه الشديد على اعتقال استاذه.. عشرين عاما قضاها في التنقل بين جامعات في الدول العربية البترولية. تفنن خلالها في الحصول على ما يمكن الحصول عليه من مال وتقدير. رغم فشله الدائم في تقديم إضافة حقيقية للمحتوى العلمي لمادته. حتى أنه ترجم مجموعة من الأبحاث حصل بها على ترقياته من المجلس الأعلى للجامعات وكان يعود فقط في أوقات تقديم الـأبحاث المسروقة. دون أن يعرف أحد بما يفعله. بل على العكس. كان الأساتذة الأقدم في لجان الترقيات يساعدونه على التطور في ذلك. دون أن يقدم إضافة تذكر. واستغل تماما ضعف بعض الطلبة من تلامذته. وأجبرهم على الحصول على دروس في مادته نظير مبالغ كبيرة. ووعد بالنجاح دون مجهود. حتى عاد إلى كليته. بعد أن اطمأن إلى موت أستاذه الأول بعد فترة من خروجه من المعتقل. وقد كون ثروة قليلة، استهلكها بناء بيت في البلد، وشراء شقة فاخرة وتأثيثها، وأربعة أبناء في مراحل التعليم المختلفة. بمجرد عودته استكشف العالم الذي تركه ولم يندمج فيه. الظروف السياسية قد تغيرت جذريا. طالبته الجماعة بمساعدة شبابها واستكمال الدورة القديمة. طالبته زوجته بتنفيذ وعده لها بمساعدتها على الحصول على الماجستير والدكتوراة. طالبته الحياة بأن يضاعف مصروفاته ليحافظ على مظهره الإجتماعي. لا راحة إذن. خاصة أن حماه الذي كان يطمع في ميراثه لابنته. قد ضيع كل شيء قبل أن يموت في

صفقات خاسرة. نظر حوله. وجد الدكتور شاهين الذي لم يسافر أبدا. وتم تعيينه بعده بدفعتين. هو الملك المتوج على عرش القسم. تزوج من دكتورة في قسم آخر. ويمتلك أرضا زراعية وسيارة فاخرة مع فيللا متميزة. قد تم تعيينه رئيسا للقسم. نائبا لرئيس إحدى الجامعات الحديثة بالإنابة. ومحبوبا من الجميع. اشتعل قلب أمجد غيرة أكثر. حين لاحظ أن الدكتور شاهين يشرف على عدد كبير من طلبة الدراسات العليا. ذوي الطبيعة الخاصة. بعضهم من جنسيات عربية وأفريقية. بحث أعمق في هذا الأمر. فوجد أن الطلبة قد حولوا مكتب الدكتور شاهين إلى ما يشبه الفندق خمسة نجوم. فالحلويات الشرقية الأغلى لا تنقطع. كذلك وجبات شبه يومية من أفخر المطاعم. والأهم. مشاركة مستمرة في الأبحاث. لابد أن لها عائد مادي كبير. أصبح الدكتور شاهين هو الشغل الشاغل للدكتور أمجد. خاصة بعد أن استهلكت زواجة ابنته الوحيدة معظم ما تبقى من مدخراته. بعد أن اصطاد لها عريسا يعمل والده في جهة مهمة وانقاد خلف المظاهر اللازمة لمثل هذه الزواجة بما لم يفعله طوال عمره. يظل معلقا في الساقية إذن. لا وقت للراحة أبدا.

بحث عن مداخل مختلفة لا تثير الإنتباه له. خاصة مع إحكام الأمن سيطرته على كل ما يتعلق بالجامعات. حاول الإبتعاد عن الجماعة التي لم ينتمي لها فكريا لكنه اتخذها وسيلة للصعود والتزكية مرات عديدة. مبررا ذلك لقياداته أن وجوده في الخفاء سيساعدهم أكثر. لكنه استخدم من كان

فيهم متخفيا داخل السلطة في الضغط المباشر وغير المباشر على الدكتور شاهين كي لا يترشح لفترة رئاسة ثانية، ستضيع عليه للأبد فرصة الجلوس على مقعد الرئيس، والتحكم في كل شيء بطريقته. وبعد سنوات من الحرب الدائمة. انسحب الدكتور شاهين حفاظا على تاريخه ومستقبله أيضا. فجاءت الفرصة الذهبية أخيرا. اكتفى الدكتور شاهين بمنصب الأستاذ مع نائب رئيس الجامعة النائية. وآثر الإبتعاد عن القسم لبعض الوقت. حتى لا ينزلق إلى مستوى الدكتور أمجد الخبيث والملتوي.

في أول مجلس قسم برئاسة الدكتور أمجد. طلب إعادة توزيع جميع طلبة الدراسات العليا في القسم. وفق قواعد محددة صاغها بعناية لتخدم مصالحه. خاصة أنه لم يكن يملك أي طالب دراسات عليا، بسبب سمعته في ضعف المحتوى العلمي مع متطلبات لا تنتهي سنوات طويلة من العمل. استمال مجموعة محددة من الدكاترة المنطوين لتكون له الغلبة دائما في أي تصويت داخل القسم. بعد شهرين من توليه رئاسة القسم. اختار بعناية شديدة عدة طلبة. يريدون شراء الدكتوراة بأي ثمن. ودون مجهود. وقد عرضوا دفع عشرات الألوف مقابل ذلك. تحول مكتبه بعد أشهر قليلة إلى محل باتيسيري فاخر. يعج بالحلويات الشرقية الفاخرة مرتفعة الثمن. التي لم يشتري قطعة منها طوال حياته.

2020-4-18

المُنْحَرِفَة

التقتُيتها على سلم الدور الثاني نازلة من الدور الثالث. تعجبتُ وتعمدتُ أن أنظر في ساعتي. تقارب الرابعة. الموظفون قد رحلوا منذ ساعتين. والدور الثالث لا توجد فيه حركة بعد تلك الساعة. انتظرت قليلا لأتأكد من ظنوني. طمأنتها بتحركي إلى آخر الرواق، لكني أستطيع أن أرى حركة السلم. بالفعل. نزل ذلك الشاب الذي رأيته معها من قبل. وهو لا ينتمي للقسم. وأعتقد للكلية أيضا. قررت أن أتابعها بانتظام. زميلة الفرقة الرابعة المغرورة، المحبوبة من الجميع. حتى أنها حصلت على الطالبة المثالية العام الماضي. رغم نشاطي الدائم واعتماد كثير من الدكاترة علي في أداء مهام صعبة مثل الإعداد للمؤتمرات والحفلات، وحتى توصيل أشياء من القسم لمنازلهم. ومصادقتي لمعظم فتيات دفعتنا. إلا هذه الفتاة الشرسة التي كانت منافسا حقيقيا طوال فترة الدراسة. قد تفوقت علي في كثير من المواقف بسبب تفضيل الدكاترة لها. هذه فرصتي إذن. سأضع لها كمينا محكما لن تفلت منه. انتهى حواره مع نفسه في ذلك اليوم من بدايات التيرم الأول للفرقة الرابعة. ركز تماما في تتبع الفتاة المستفزة له طوال الوقت. عرف أن ذلك الشاب اسمه حمدي، من كلية أخرى، وهم أصدقاء منذ الفرقة الثانية. وأكد له المقربون منهما أنه مشروع خطوبة قريبا. ذهب إلى كلية ذلك الشاب

لمتابعة تحركاته. فاجأه غريمه بالقرب منه مع عدد من زملائه وسأله عن سبب حضوره إلى كليته. استقبل حازم ذلك الهجوم عليه بثبات كامل. فخلفيته الرياضية في المصارعة وخناقات الشباب تعطيه قوة في استقبال أي هجوم عليه. بنبرة ممتلئة بالحنق طلب منهم حازم الإبتعاد عنه وعدم التحدث مع من الأساس. كاد الموقف يتطور إلى اشتباك بالأيدي. لكن تدخل بعض العقلاء منع ذلك. مع تحذيرات مباشرة من حمدي بعدم الإحتكاك او الإقتراب منه ومن ممتلكاته. ضحك حازم كثيرا لهذه الجملة. يعتبرها قطعة خردة إذن. لابد من الإنتقام وإذلالهما معا. كان شغله الشاغل في المرحلة التالية محاولة الإيقاع بهما. أعطى داليا الأمان الكامل. وأشعرها أنه لا يهتم بها أو برفيقها. في هذه الأثناء استطاع إعادة تفعيل كاميرا المراقبة السرية الموجودة أمام باب الدور الثالث. وتستطيع كشف جميع ما يدور في المكان. غيّر الكاميرا القديمة إلى أخرى جديدة تستطيع تسجيل الصوت أيضا مع الصورة. وأوصلها عبر برنامج خاص بهاتفه وحاسبه الآلي. تسجل تلقائيا كل ما يحدث. وتستطيع حفظ المعلومات لمدة أسبوع كامل. أصبحت هوايته الأثيرة أن يقوم بتفريغ الذاكرة ومراقبة ما يحدث عدة مرات أسبوعيا بحثا عن ذلك اللقاء المرتقب. أذهلته كمية المعلومات التي حصل عليها. الدور الثالث خاص بموظفين إداريين وحسابات. مؤامرات مستمرة بين جميع الأطراف. تكتلات من البعض ضد البعض. محاولات للسرقة من كشوفات مختلفة لم يفهم محتواها. وبعد أن

تهدأ الحركة بعد رحيل الموظفين. تبدأ وظيفة أخري للمكان لم يكن يعرف أنها موجودة. تصعد مجموعات من الطلبة لتمارس الجنس بدرجاته طوال الوقت. الذي أثاره وأذهله صعود أحد أعضاء هيئة التدريس مع فتاة ليقبلها في هذا المكان المشبوه؟ لماذا لا يفعل ذلك في مكتبه أو خارج الكلية. أو حتى في سيارته. هل هو حنين للمراهقة المتأخرة؟ أم حرمان قديم؟ وسط تأملاته المندهشة. وصل إلى ما كان ينتظره أخيرا. صعدت داليا أولا. جلست على جانب السلم الصاعد لسطح المبنى. بعد قليل حضر حمدي. دون أي حديث. بدآ في تبادل القبل العنيفة. أدخل يده تعبث في جسدها. بمهارة شديدة. وخبرة سابقة واضحة. استمرا في ممارسة الجنس الخارجي لربع ساعة. كان كل شيء واضحا تماما. صدرها ظهر بوضوح في التسجيل مع وجهها. لا مجال لتنكر ذلك. بعد أسبوعين. عرف أن لهما نمطا محددا. يوم الأربعاء أقل أيام الأسبوع كثافة في الحضور. ويوم السبت أجازة الموظفين. عرف هاتفها من بعض الكشوف التي يحتفظ بها. اشترى رقما جديدا لا يعرفه أحد. أرسل لها على الواتس صورة لها وهي عارية الصدر. وتحتها كلمة واحدة.. انتظريني اليوم في الثالثة في نفس المكان. وهو يضحك بشدة. فقد أرسل لها رسالته وهي في محاضرة أكثر الدكاترة تشددا. لكن ما توقعه قد حدث بالفعل. خرجت الفتاة وعلامات الرعب تتملكها. كان حازم في مكانه المعتاد في آخر الرواق يراقب الموقف. توجهت مباشرة ناحيته وهي في قمة الغضب. صرخت في وجهه أنه لن ينجو بفعلته. تصنّع عدم معرفة شيء.

وسألها عن سر ما تقول. للمرة الثانية هددته بصديقها. وأخبرته أن له أقارب مهمين. وشقيقه ضابط شرطة. وسيسحقه تحت قدميه. تجمّع بعض الطلبة ودكتور كان قريبا على الجلبة. سألها عما يحدث. ابتسم حازم وطلب منها أن تجيبه. لأنه لا يفهم ماذا يحدث. لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة. لكنها انفجرت في البكاء وهي ترحل. وهو ينظر لها بمنتهى الشماتة. وأشهد الجميع على تهديدها له بأنه سيرى أياما سوداء. التقت بصديقها خارج الكلية. وأخبرته بما حدث. وأنها تشك في حازم ولا أحد غيره. طلب منها معرفة من يستخدم كاميرات المراقبة. ومن يقوم بتفريغها وبعدها يمكن التصرف. في اليوم التالي كانت مع صديقها في غرفة رجل الحرس المسئول عن متابعة الكاميرات. أخبرهم أن كاميرا ذلك الدور معطلة منذ مدة طويلة. وأكد لهم أنها لا تسجل شيئا. ازدادت حيرتهم وغضبهم أيضا. أخبرها أن تذهب في الموعد. وسيكون هو مراقبا لها حتى يعرفوا ماذا يحدث. بالفعل. صعدت في الموعد إلى الدور الثالث. وظلت لنصف ساعة في الإنتظار. جاءتها على الواتس صورة جديدة وهي في أحضان صديقها. وتعليق واحد تحتها لو أخبرتي صديقك الذي ينتظرك مرة أخرى. ستكون هذه الصور على الفيسبوك وتويتر واليوتيوب في اليوم التالي. أرعبتها الرسالة أكثر وأكثر، نزلت ترتجف هذه المرة. التقاها صديقها بغضب لا يقل عن غضبها. نظر حوله كمن يبحث عن غائب. ظهر حازم في أسفل السلم كأنه صاعد للدور الثاني. بدون سابق إنذار انقض عليه حمدي يحاول خطف هاتفه. بسرعة

شديدة أفلت منه وجري ناحية الحرس. جري خلفه حمدي دون أن يعرف بالكمين المعد له. فوجئ تماما حين وجد فردين ضخمين من شركة الأمن ينقضان عليه ويشلان حركته وهو يصرخ: لن أتركك يا حازم. تم عمل محضر داخلي بالواقعة. بعد تدخل الضابط شقيق حمدي. مع منعه التام من دخول الكلية. أكثر ما أصاب حمدي بالجنون أثناء التحقيق. ابتسامة حازم المستفزة الدائمة. ونظرته المتحدية المحتقرة. في وسط التحقيق حاول حمدي تهديد حازم. لكنه فاجأه بلكنة حاسمة تماما أمام شقيقه الظابط. ابتعد عن طريقي. لأنك لو شر. فأنا الشيطان نفسه..

بعد أسبوع من تلك المواجهة. مر هادءا وسط ترقب جميع الأطراف. وصلت رسالة واتس جديدة لداليا:

لن أقطع لك عادة. وأنا أولى من الغريب. غدا في الثالثة. في نفس المكان...

2020-4-19

****

شبح الدكتورة ندا

لم يكن في استطاعته رفض طلب استاذه ومشرفه الأكاديمي للحضور في تمام الثامنة من صباح الأحد ليكون معه في الإمتحان العملي لمادته. خاصة أنه كمعيد أيضا لا يمكنه الإعتذار عن أمر لرئيس القسم. بتردد طلب من أستاذه أن يسمح له بالتواجد في العاشرة. تعجب الأستاذ من هذا الطلب. فمن غير المعتاد أن يرفض المعيد طلبا لأستاذه. لكنه آثر سؤاله قبل أن يتخذ إجراءا ضده.

فأجابه إبراهيم أنه من محافظة أخرى، ولم يوفر مكانا للسكن الدائم في المدينة بعد. ابتسم الأستاذ وربت على كتف إبراهيم. وأخبره أن مثل هذا الموقف قد حدث له من قبل. والحل بسيط. يحضر يوم السبت مبكرا قليلا. ويأخذ منه نسخة من مفتاح القسم ومكتبه. ويبيت فيه. على الأريكة الجلدية المريحة. شعر إبراهيم بسعادة بالغة. فهذا الحل يتيح له فرصة ذهبية للتواجد المستمر في القسم واستكمال أعماله المتأخره. حضر يوم السبت التالي من قريته حاملا حقيبة بها ملابس مخصصة للنوم. وكتبه ومراجعه ليعمل في الكلية ويستغل وقته. في تمام الخامسة خلى القسم تماما من جميع الأساتذة والطلبة. أخبره مشرف الأمن أنه موجود في غرفته عند بوابة

الكلية طوال الليل. لو أحب أن يتسامر مع أحد. شكره إبراهيم وأغلق خلفه باب القسم كما أوصاه أستاذه.

صعد إلى المكتب الكبير واستراح قليلا على الأريكة الكبيرة المريحة في مكتب الأستاذ. قام بعد أقل من ساعة وأنار جميع الأنوار في الدورين الأول والثاني كما أوصاه أستاذه. تناول طعاما من صنع والدته واستلذ به. غير ملابسه ليرتدي ملابس رياضية مريحة. ثم فتح الحاسب والمراجع بعد أن أخلى مكتب أستاذه مما عليه من كتب وأدوات متخيلا نفسه في هذا المكان بعد سنوات يتمنى ألا تطول. كل شيء منوط بسرعة حصوله على الماجستير والدكتوراة. ثم أبحاث متوالية. ينتقل من معيد إلى مدرس مساعد ثم مدرس فأستاذ مساعد ثم أستاذ. ربما تستغرق المدة بين كل ترقية عدة سنوات. حسب اجتهاده ومدى مساعدة أساتذته له. لذلك فاحتفاظه بعلاقات جيدة مع جميع الأساتذة أمر مهم حتى لا يعترض طريقه أحد في مجلس القسم أو لجان الأبحاث والترقيات. كل خطوة مرتبطة بمن هم أقدم منه. وهي رايات تتنقل في هدوء. أو بمشاكل عاصفة. كل شيء له ثمن.. انكب على المراجع ينهي فصلا جديدا في الرسالة. قضى ما يقارب الستة ساعات متواصلة. حتى توقف عقله تقريبا عن العمل.

قام لعمل إعادة تنشيط لآلة جسده. ذهب إلى الحمام القريب من مكتب الدكتور. لاحظ وهو يدخل أن النور في آخر الرواق منطفئ. دخل إلى الحمام ثم خرج متوجها لمعاينة سبب انطفاء المصباح الأخير. لكنه فوجئ أن نصف

الرواق قد أظلم تماما. عزاه إلى مشاكل في توزيع الكهرباء. أو ربما هي ضعيفة على وشك أن تقطع. سار عائدا نحو المكتب. سمع صوتا في الجزء المظلم من الرواق. كأنها حركة لشيء ثقيل يسير على الأرض محدثا دويا مع كل خطوته. لم تتوقف تفسيراته. ربما كان قطا أفزعه الظلام. قبل أن يدخل المكتب. فوجئ بانقطاع الكهرباء عن جزء جديد من الرواق. لم يهتز له طرف. فهي المرة الأولى التي يبيت فيها في المكتب. وربما الليل هنا مختلف قليلا. أغلق باب المكتب بإحكام. وهو يتذكر الأيام الكثيرة التي اضطر فيها للسير من على الطريق الإسفلتي للوصول إلى قريته عبر طريق ترابي يمتد لأكثر من كيلومتر. لوصوله متأخرا في الليل. أو خروجه قبل الفجر للحاق بمواعيده. وكل ما صادفه في ذلك الليل المصحوب بالوحدة والظلام من علامات فسرها الكثيرون على أنها ظهور متجسد للجن بأنواعه المختلفة. تلك أم الشعور. وذلك المارد. وتلك العاشقة. وذلك القرين. تفسيرات كثيرة جدا لم يقتنع بأي منها ولم تهتز منه شعرة أبدا .

سمع خطوات تقترب ببطئ مرة أخرى. خرج ليستطلع الأمر. وجد النور قد عاد للرواق كله. أخذ نفسا عميقا. ليلة طويلة فيما يبدو. شغل القرآن الكريم على الحاسب وهو يعمل بعد أن أغلق الباب. لاحظ تراقص الأنوار في الرواق من خلال المسافة الصغيرة في أسفل الباب. ثم إظلام تام في الخارج. بعدها بدأت طرقات خفيفة على الباب نفسه وسط الظلام الخارجي. لم يتعود طوال عمره علي الهروب من أية مواجهة. خرج بهدوء بعد أن أشعل

مصباح هاتفه. استمر الرواق مظلما. نزل من الدور الثاني إلي الدور الأول. كانت إضاءة واحدة فقط منيرة بجوار مكتب قديم مهمل في منتصف الرواق. تعجب للأمر وهو يحاول فتح باب القسم المغلق بإحكام. لم ينفتح معه أبدا. أخذ في النداء على أي شخص في الخارج. لن يسمعه حارس الأمن من هذه المسافة البعيدة. سمع خطوات تقترب منه. نظر حوله. لا أحد. توجه ناحية المكان الوحيد المنير في الرواق. الغريب أنه شاهد نورا داخل المكتب من تحت الباب. رغم أنه متأكد أن هذا المكتب مغلق منذ حضر إلى القسم. لأن الاستاذة الدكتورة ندا التي كان مكتبها. قد توفيت منذ مدة. ولم يستلمه أحد مكانها حتى اليوم. لأسباب لم يقتنع بها حين سأل عنها البعض. مثل أنها طلبت أن يظل مغلقا بعدها. وأن أحدا لم يستلم محتوياته من أسرتها لأن أبناءها هاجروا ولم يحضر أحد منهم حتى لجنازتها. بعد أن رفضت تماما اللحاق بهم هناك. وصممت على البقاء في بلدها حتى تموت. وأن القسم لا يحتاج المكتب في الوقت الحالي. وغيرها من المبررات غير المقنعة. لو الأمر بيده لشكل لجنة فورية لجرد المحتويات ووضعها في الأمانات عند رئيس القسم ثم إعطاء المكتب لمن يحتاجه من الأساتذة الأحياء. أثناء وقوفه المتأمل للمكان. سمع أصواتا داخل المكتب المغلق. تناهى إلى سمعه صوت رقيق يطلب منه أن يدخل. للمرة الأولى يشعر بالخوف. أسرع خطاه إلى الأعلى وهو يسمع صوتا متزايدا يتحول من الرقة إلى الغضب يسأله لماذا لم يدخل. بمجرد صعوده إلى الدور الثاني شاهد أنوار

الرواق تغلق الواحد تلو الآخر. وخطوات ثقيلة تسمع خلف كل نور يطفأ. دخل المكتب والرعب الحقيقي قد تملكه. رفع صوت القرآن لأعلى درجة. سمع طرقات على الباب. وكأن حركة أقدام خلفه. ارتجف جسده وهو لا يعرف ماذا يفعل. وضع رأسه على المكتب. وهو يحاول غلق عينيه وأذنيه كي لا يرى ويسمع أي شيء. بعد أن فتح الباب الذي أغلقه بيديه. لكن جسده لم يستطع تحمل الصوت الذي سمعه قربه تماما: لماذا لم تدخل؟ لقد كنت في انتظارك. فغاب عن الوعي.

قام مفزوعا بشدة ورعب العالم كله باد على ملامحه. حين شعر بلمسات ثقيلة على كتفه. قبل أن يهاجم من أيقظه. فوجئ بأستاذه يقف امامه. ونور الصباح يملأ المكان. سأله الاستاذ عما حدث ليبدو بهذا الشكل الغريب وكأنه خارج من معركة. ذكر له باختصار بعض ما حدث. ضحك الأستاذ الدكتور وهو يردد:

رحم الله الدكتورة ندا. لقد صدقت فيما قالت. لن تترك القسم أبدا. لا حية. ولا ميتة...

2020-4-20

****

القدّيس

ملتزما بخارطة الطريق لحياته. بلا علاقات مع فتيات، ولا صداقات قريبة، ولا أي شيء يلهيه عن هدفه. استمر في تفوقه طوال سنوات الكلية. حصد المركز الأول طوال الثلاث سنوات الأولى. غير عابئ بمطاردة رئيس القسم له عن طريق منح ابنته المركز الثاني دائما. يعرف الجميع أن القسم به زيادة في أعضاء هيئة التدريس بما لا يسمح بتعيين معيدين. وهو ما حدث طوال السنوات السابقة. لكن قرارا من مجلس القسم نهاية العام الماضي بتعيين معيد واحد في السنة التالية. يبدو أنه وضع خصيصا وتحت ضغط مستمر من الأستاذ الدكتور الرئيس. يتبقى عقبة القديس. الشاب الذكي المتميز المتفوق بالغ الإحترام. لم يصدر منه طوال سنوات الدراسة تصرف واحد يمكن انتقاده. حصل على الطالب المثالي لعامين متتاليين. بل وأصبح يشارك في مسابقات باسم الكلية نظرا لتفوقه الكاسح وفهمه العميق لكل المواد. لدرجة أن بعض زملائه أصبحوا ينادونه بالدكتور. بالإضافة للراهب والقديس، وزاد من رهبته تقمصه لدور الدكتور النمطي في كل شيء. تأخر إعلان نتيجة التيرم قبل الأخير للفرقة الرابعة بحجة التصحيح المتأني ورفع بعض الطلبة الدين يحتاجون للرأفة. الجميع يعلم أنه خارج هذه الدائرة الخطرة.

لم يستطع مداراة قلقه المتزايد. لابد أن لعبة قذرة تدور في الخفاء. حاول الإستعانة بأستاذه المتفرغ الذي يحبه ويقدره ويسانده ليحضر له أية أخبار ممكنة. تحامل الأستاذ على عمره الكبير وصحته المتآكلة وذهب إلى رئيس القسم ليعرف ماذا يدور في الخفاء. بقي القديس في المكتب ينتظر على نار. حانت منه التفاتة طويلة إلى حياته منذ صغره. والده موظف تقليدي لم يفعل شيئا له قيمة في حياته. لم يره سعيدا أبدا. مجرد أداء روتيني يومي ثابت حتى خرج إلى المعاش وأقام بصفة دائمة في المنزل، بعد أن اختار العزلة الدائمة وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى. ترك كل شيء على عاتق زوجته التي تصغره بعدة سنوات. هذا الروتين القاتل انعكس عليه وعلى شقيقه حتى أصبح جزءا من كيانهما. استطاع شقيقه التفوق في كلية أخرى وحصل على منحة في أوروبا وهو هناك منذ العام السابق. مما زاد العبئ النفسي عليه. وأصبح لا يطيق المنزل. ويحلم باليوم الذي يبدأ فيه رحلته الخارجية هو أيضا ليصنع مستقبلا مختلفا ويكسر هذا الروتين القاتل. عاد أستاذه متحاملا على نفسه. وعلى وجهه علامات ذهول لا تخطئها عين. انقبض قلب القديس. لم يرى أستاذه هكذا من قبل. لابد أنه حصل في إحدى المواد على تقدير منخفض وهذا سر حزنه. اقترب منه وربت على كتفه. وقال له أنه متفوق بدرجات كبيرة ولن يتأثر بالنزول في مادة أو مادتين إلى جيد جدا. لم يستطع الأستاذ منع دمعة لمعت على طرف عينه. فأيقن القديس أن الأمر جلل. جلس وطلب من أستاذه أن يقول كل شيء

دون أن يحزن. لم يكن أقصى خيالاته رعبا أو جنونا يصل إلى ما أخبره به الدكتور. لقد حمل إحدى المواد. ولم تكفي درجات الرأفة لينجح فيها. لم يستطع تحمل وقع الخبر. سقط مغشيا عليه. في رحلة اللاوعي. ذهب إلى رئيس القسم. حاملا جائزة الطالب المثالي التي حصل عليها العام السابق. وشهادة بحصوله على أربعة وثلاثين مادة امتياز من أصل ثمانية وثلاثين درسهم حتى نهاية الفرقة الثالثة. من المستحيل أن يحمل مادة. من المستحيل أن يكون أداؤه في إحدى المواد لا يؤهله للحصول على الإمتياز أساسا. دخل غرفة رئيس القسم والشيطان يركب على كتفيه. سأله مباشرة لماذا يدمر مستقبله بهذه الصورة البشعة. كان من الممكن أن يكتفي بتخفيض تقديره ليحصل على المركز الثاني وتظل فرصه قائمة في التعيين. لكن بهذه الطريقة يدمر له مستقبله تماما. لم يتحمل الضحكة الشريرة من رئيس القسم. فطعنه آلاف الطعنات بنصل الجائزة الحاد. لكنه لا يموت. بل تزداد ضحكته خباثة وبشاعة. ثم يضربه ضربة واحدة فيلقيه خارج القسم كله. قام القديس فزعا من إغماءته. فوجد القسم كله حوله. من طلبة ودكاترة. حتى غريمته كانت تقف بتعبيرات صامتة. غير مفهومة. عرف أن النتيجة تم تعليقها. وبذلك أصبح رسميا حاملا مادة. وسيُنظر في أمرها في التيرم الثاني. خرج من بين الجميع مطأطأ الرأس. شاهد رئيس القسم يقف متحديا على باب مكتبه. مر من أمامه. تكاد تلفحه نار الغضب داخله. صعد حتى شرفة الدور الرابع. وخرج على الحرف الخارجي

لها كي لا يسحبه أحد للداخل. ثم نادى من مكانه. تجمّع الطلبة والأساتذة والأمن سريعا على صراخ الطالبات. وقف رئيس القسم يترقب الموقف. والفتى مصمم على حضور رئيس الجامعة ليتحدث معه. بعد أقل من نصف ساعة. كانت الشرطة والدفاع المدني ورئيس الجامعة وعميد الكلية يقفون في أسفل الشرفة يطلبون منه الدخول وسيفعلون ما يريد. تحدث أخيرا وهو يتأرجح بفعل الهواء من آن لآخر:

-لقد سرق رئيس القسم حلم عمري. وأنا لا أريد منكم إنصافا. لأني أعلم أن القوانين ستقف بيني وبين ذلك. لم أعد أريد شيئا من دنيتكم. مللت كل شيء. لا تجعلوا ابنته تتمتع بحلمي. هذا كل ما أريده منكم.

أغمض عينيه. وفرد يديه. أطلق جسده للريح. بعيدا عن أكياس الهواء التي وضعوها حيث كان يقف. وحلق في الفضاء. للمرة الأخيرة..

202-4-21

****

لا أحب شيرين

صامتا دائما. حذرا من فهم أي تصرف بصورة خاطئة. مرتبكا في غالب الأحيان في كل مرة يتواجدان معا في مكان واحد. وقف في مكانها المعتاد. منتظرا رؤيتها لتعود له الروح من جديد. رغم أنه في كلية التربية. وهي في كلية التجارة. إلا أنه يعرف جدولها وخط سيرها تفصيليا. وهي تساعده على ذلك. لأنها منتظمة روتينية في الحقيقة. تحضر صباحا في التاسعة إلا ربعا. سواءا عندها محاضرات مبكرة أو لا. تدخل محاضرتها. أو تذهب مباشرة لتناول قهوتها الصباحية بنكهة الموكّا. يعرف من قهوتها أنها معقدة قليلا. منظمة جدا. تنجح كل سنة في كليتها بتقدير جيد. والدها مدير مدرسة ووالدتها لا تعمل. كانت مدرسة ثم تفرغت للمنزل بعد العودة من الإعارة الخليجية. تربيها وإخوتها. أخت أكبر وأخ اصغر. تسكن في فيكتوريا. تركب الترام في غالب الأحيان. رغم أنه يسكن في محرم بيك. عكس خط سيرها تماما. إلا أنه يجد متعته كلها في الركوب معها في الترام. حتى لو ركبت في عربة السيدات. يقف على النافذه المطلة على عربة السيدات من عربة الرجال. ويظل يتأمل فيها. ويراقب كل همسة تصدر عنها. حتى لو جلست في مكان يحجب عنه الرؤية. يظل قلبه معلق بمكانه حتى تنزل في المحطة قبل الأخيرة. فينزل خلفها. ويطمئن لدخولها العمارة. المطلة على الترام، ثم

يجلس قليلا عند المحطة القريبة ليتنفس نفس الهواء الذي يدور في محيطها. روتين أربعة أيام اسبوعيا. تساعده بانتظامها الدائم وعدم تغيير روتينها إلا فيما ندر. عرف روتين شقيقها من خلال مراقبته لتحركاته في المرات التي صادفت لقاءها به. تتبعه إلى المقهى الذي يجلس عليه. واستطاع من عام أن يكون من شلته غير المقربة. خاصة أنه قد التحق بكلية الهندسة العام الماضي وأصبح جامعيا هو الآخر. ومنه عرف الكثير من تفاصيل حياتهم. شقيقها هادئ مركز في دراسته وأحلامه لكنه يقضي الكثير من الوقت خارج المنزل. مجرد شعوره أن أنفاس شيرين تحيط بشقيقها. وربما تكون قد لمسته وهو في المنزل. كان يمنحه خيالا لا حدود له. وراحة نفسية تكفيه حتي يراه في اليوم التالي. أسوأ أوقات حياته. نهاية يوم الأربعاء. عندما تعود شيرين إلى منزلها. ولا تخرج حتى يوم الأحد. يمر عليه الخميس والجمعة والسبت خارج الزمن. فعليا. وتزداد حالته سوءا عندما تظل أكثر من يوم لا تكتب شيئا علي الفيس. رغم أنه ليس في قائمة أصدقائها المباشرين. لكنه استطاع اكتساب ثقتها بحساب مزيف لفتاة. وتحدث معها على الماسنجر عدة مرات. لكن دون أن تطلعه على تفاصيل حياتها. تبدو متحفظة حتى في العالم الإفتراضي. ولم يجد في كل تاريخها على الفيس سوى صورة شخصية واحدة في إحدى رحلاتها مع بعض أصدقائها. أنزلها. وجعلها أيقونة غرفته. صنع منها نسخة كبيرة. وأخبر والدته أنهم أصدقاؤه الخمسة في الكلية..

تواترت الأخبار عن المرض الذي يعصف بالعالم. ومعه بدأت التنبؤات بوقف الدراسة. لا يمكن. لن يسمح بذلك. هذا العام خطط ليتحدث معها مباشرة. في نهاية مارس. في يوم عيد ميلادها. لقد جهز نفسه جيدا لذلك اليوم. اشتري ملابس جديدة.

وكتب كلمات تساعده على الصمود في ذلك الموقف المرتقب:

أيتها الحلوة الجميلة. أيتها الحلوى الفارسية النادرة. ليس أنا من يقول ذلك. لكنه معنى اسمك المنير في سماء حياتي. يا من ينطبق عليك كل وصف اسمك. وكأن الذي وصف الإسم قد وقف في محراب عينيك وخط بمداد من مشاعره كل ما يتعلق بك. أنت ذكية، قليلة الكلام، مليكة الإتقان ، أنيقة لو ارتديتي أية ملابس. أيتها النور الذي خط في أنحاء كل مكان خطت فيه أجنحتك جمالا ورونقا وبهاءً. أيتها البسمة التي تعيد للكون كله رونقه. وتجعل كوكبنا الحزين مكانا قابلا للحياة. أنا أحسب عمري بالساعات القليلة التي تكونين فيها أمامي. أمد يدي في كل مكان تتواجدين فيها. لعلي أمسك قبسا من حسنك المضّاء في القلوب كسيف بتار. وأحتفظ به في قلبي. حتى أراك من جديد. أريد أن أقترب منك خطوة أخري. فاسمحي لي. يا سيدة حياتي. ونورها الوحيد...

لكنه عجل بالأمر. وانتظرها في مكانها المعتاد. في اليوم الذي ليس لديها فيه محاضرة مبكرة. اقترب منها في هدوء. جلس أمامها بوقار. التقت عينه

بعينها مباشرة للمرة الأولى في حياته. ابتسم على ابتسامتها التي أنارت وجهه. وضعت قدما على قدم. وبادرت بالحديث:

أخيرا تحليت بالشجاعة أيها العاشق الولهان.

فاجأته الكلمات تماما. حاول استيعاب الكلمات. كيف؟ متى؟ لم يشعر مرة واحدة طوال عامين كاملين أنها شعرت به. بدأ يستجمع المشاهد أمامه. نعم. لابد أنها كانت تعرف. نعم. كانت أحيانا تبطئ حركتها إذا تأخر عنها لأي سبب. وغالبا كانت تجلس في العربة المشتركة في الترام. وتقف وحدها. وهو يقف في الجانب الآخر من الترام. كلما سرق نظرة لها. وجدها تنظر نحوه. فيكذب عينيه. كم مرة خرجت في شرفة المنزل. ونظرت نحوه. وهو يكذب عينيه. بل. كم مرة وجدها عند كليته. فتعميه الفرحة عن تحليل الموقف. لماذا تذهب إلى كليته. نعم. لقد كانت تعرف.. أشرقت الإبتسامة في وجهه. وتشجع:

نعم يا شيرين. أنا العاشق الولهان. وأحب أن نتواصل معا.

ضحكت شيرين بشدة. لدرجة أربكته. ثم عقبت عليه:

كما تواصلت معي عبر الماسنجر عدة مرات باسم فتاة.

فاجأته من جديد. واستعاد محادثاته معها التي حفظها عن ظهر قلب. نعم. لقد أشارت إلى معرفتها بشخصيته. دون أن يشعر. فرحته طغت على تفكيره مرة أخرى. توقفت شيرين عن الضحك. واعتدلت في جلستها. وحدثته بكل جدية:

اسمعني جيدا. سأتحدث مرة واحدة. لن تتكرر. لقد كنت وسيلة فعالة لي للتخلص من الضغوط التي أواجهها في حياتي. لكن المسرحية طالت. وخرجت عن النص. وأصبحت لا تضحكني. غير مسلية. وجراءتك اليوم تقلقني. العالم فيه مرض خطير. لا أحد يعلم ماذا سيحدث في المستقبل. لقد مللت منك. ابتعد تماما عن حياتي. لو رأيتك في أي مكان بعد اليوم. سأبلغ عنك. وعندي تسجيلات صفحتك المزورة.

تركَته. وهو في حالة صدمة. أخذ يستعيد المشهد كله. قبض بعنف على قهوة الموكا الساخنة. ولم يشعر بها وهي تحرق يده. ودمعة حارقة على طرف عينيه. وهو يردد:

لا أحب شيرين..

2020-4-22

****

كورونا بالسُّكّر والمكسّرات

لم يكن يتصور. في أكثر خيالاته تحررا. أنه سيجلس معها في مكان واحد. دون أن يكون عندها ما يشغلها. وصولهما معا إلى السنة الأخيرة في كلية الطب كان أقرب للحلم. مرت السنوات سريعة دون أن يشعر بها. العام الدراسي ينتهي. يقضي الصيف كله في مستشفى يتدربان فيه معا. مرحلة وسيطة بين المساعد الفني والطبيب العامل. لكنهم يستفيدون منها كثيرا عمليا وفنيا. مما يساعدهما على التفوق في الكلية. لتحقيق حلم النيابة والتخصص الأعلى. الدفعة كلها تقريبا قد أفصحت عن نواياها وأحلامها. هي تريد التخصص في العيون وهو يريد التخصص في المخ والأعصاب. يحتاجان لأعلى التقديرات للوصول لذلك التخصص. ظلت المسافة بينهما خاضعة لقوانين الصداقة. أكثر قليلا من الزمالة العادية. هي سره وهو سرها، ضمن دائرة ضيقة لا تزيد على عدة زملاء. حلمهم الآخر هو الزمالة الملكية الإنجليزية أو الأمريكية. مستوى أكبر يحتاج لمجهود أكبر. لتحقيق الخمسة عين في النهاية. (عمارة. عريس أو عروسة. عيادة. عربية. عزبة).

رحلة مرهقة لا شك. وطويلة. تحتاج إلى دعم قوي. ومستمر. فالطبيب حرفيا لا حياة اجتماعية له. مقسم وقته بين مستشفى أو أكثر. وعيادة. وعمليات في أي وقت من اليوم. حياة اجتماعية غير منتظمة لمدة لا تقل

عن عشرين عاما. الرحلة تحتاج إلى شريك نجاح. وليس شريك حياة تقليدي لا يرى إلا مستلزمات الحياة اليومية العادية. كثير من الزملاء قد ارتبط فعليا خاصة في السنة الأخيرة. إعلانات بين الزملاء يباركها الأهل. والبعض يؤجل إلى سنة الإمتياز وتحديد التخصص وبالتالي اتجاهات المستقبل. لكن الدفعة كبيرة. تقارب الألف. أكثر من نصفهم من البنات. والظروف الاقتصادية متراوحة بين الجميع. لكن عادة بعد انتهاء سنة الإعدادي تكون الشّلل قد تكونت. شلة الأساتذة الدكاترة أبناء الدكاترة وهؤلاء يمثلون شريحة تصل إلى الثلث أو أكثر من مبدأ ابن الدكتور لابد أن يصبح دكتور. شلة الأغنياء من غير أبناء الدكاترة. وهم قلة مستقلة لها حياتها ومستقبلها المضمون. شلة أبناء الطبقة المتوسطة وهم الأغلبية الكاسحة الذين يحلموم بمستقبل أفضل لأولادهم ومكانة اجتماعية أكثر تميزا. ثم الشلة الأخيرة التي نجح أصحابها في الحصول على تفوق نادر في الثانوية العامة، واستطاعوا دخول الكلية. لكنهم يعانون من مصاريف الدراسة الباهظة. وتتكاثر داخلهم كل الأمراض الاجتماعية مما يشاهدونه من فوارق طبقية صارخة حد الجنون. فيصبح كل همهم التخرج والسفر لبلد عربي ومواصلة الليل بالنهار ليصبح أبناءهم من الطبقة المتميزة، فتضيع حياتهم حرفيا. كل من يدخل كلية الطب يتم تصنيفه بعد عام الاعدادي. انتهت المناقشة بين أميرة وشلتها. دون تعقيب. فقد كانت تقول ما رأوه وسعدوا به جميعا.

عيادة الأستاذ الدكتور خالد لأمراض المخ والأعصاب. رائد عمليات علاج النخاع الشوكي وصاحب الابتكارات المهمة لإعادة فاقدي الحركة للقدرة على الحركة مرة أخرى. الأستاذة الدكتورة أميرة. أستاذة أمراض العيون المعروفة وصاحبة تطوير فريد لجهاز الليزك وعمليات القرنية. التي استطاعت تطوير أداء أجهزة التحكم عمليات نقل القرنية وإبطال رفض الجسم لها. معترف بها من جميع الأوساط العلمية المتخصصة. تبادلوا أحلامهم في جلسة صفاء أثناء سهرهم في وردية الليل الهادئة. في المستشفى الذي استقروا به أخيرا. ويمنحهم مبلغا يكاد يكون رمزيا. مقابل كل يوم عمل. فجأة تم النداء على الطبيب المناوب لوجود حالة في الطوارئ. طبيعة عملهم كمتدربين مساعدة الأطباء في العمليات والطوارئ والحالات الحرجة. توجها معا إلى حيث يقف المريض وعدد كبير من أهله. رجل مسن حوله شباب في حالة غضب عارم لأن الجميع يخشى الإقتراب من والدهم. وقد أصروا على الدخول رغم نصيحة ممرضة الإستقبال لهم للتوجه إلى المستشفى الحكومي العام. حالة الأب متأخرة فيما يبدو. تقدم خالد بعد أن اختفي طبيب الطوارئ. لمحوه يتراجع بعد أن وصل إلى سمعه سعال الرجل الشديد. تقدمت أميرة بصحبة خالد يدها بيده. ارتديا القفازات والملابس الوقائية اللازمة.

عاينوا المريض. حرارة مرتفعة تصل إلى الأربعين. يأخذ نفسه بصعوبة شديدة. سعال جاف جدا. مع صداع قاتل وتكسير كامل في الجسم. عادا

معا خطوتين للخلف. طلبت أميرة من هاتفها الرقم المخصص للإبلاغ عن حالات الكورونا. أبلغت عن الحالة. بينما أبلغ خالد الشرطة للشر الشديد الظاهر على أهل المريض. في انتظار حضور الغوث. أخبروا أهل المريض أنهم أعطوا مريضهم مسكنا. حتى تظهر نتيجة التحاليل. جلست أميرة في مواجهة خالد، أخذا نفسا عميقا أخيرا بعد أن خلعا الكمامة الخانقة. ابتسم خالد وهو يتأمل ملامح أميرة المرهقة. بادرها:

-تخيلي. لم نجلس معا لوحدنا أبدا منذ بداية دخولنا الكلية.

-حقا! لم ألاحظ ذلك من قبل.

-أنا متأكد من أنها حالة كوفيد **19**.

-أنا أيضا شبه متأكدة.

-هل لمستيه بيدك.

-نعم. ولكننا غسلنا أيدينا بالكحول.

-والنفَس؟

-شربنا ماءا ساخنا.

-لا أعلم. لست مطمئنا.

-دعنا ننتظر حتى يتم التحليل. لم أعهدك تخاف يا خالد؟

-لا أخاف على نفسي. بل أنت من يهمني.

-لماذا يا دكتور؟ هل هناك ما تريد أن تقوله لي.

في أقل من نصف ساعة. حضرت الشرطة مع سيارة إسعاف من مستشفى العزل. فوجئ أهل المريض بما يحدث. حاولوا أخذ مريضهم والهرب به. لكن الشرطة سيطرت تماما على الموقف. وطلبوا من الأهالي الذهاب مع مريضهم للحصول على مسحات منهم. بينما أمر الطبيب المرافق للإسعاف بغلق المستشفى حتى التأكد من الحالة. وضعت الشرطة حراسة على المستشفى. وظل الجميع في حالة قلق. حتى جاءت النتيجة الصادمة. المريض وسبعة من مرافقيه مصابون بالكورونا. سيتم فرض العزل الوقائي على المستشفى كله لمدة أسبوعين إذن. دخلت أميرة في نوبة بكاء. بينما اقترب منها خالد مبتسما مما استفزها. لكنه لحقها بكلمات تكمل حواره السابق:

أجمل عزلة مع أحلى دكتورة. باسم الفيروسات والبكتريا. باسم الشفاء من الأمراض. باسم الكورونا الجبارة والعزلة المفاجئة. باسم كوفيد **19** و**20**.. تتزوجيني!

2020-4-23

****

الوَغد

على عجل. ذهبت إلى بيت صديقي الشيخ المأذون. في الحقيقة هو لا يزال في الفرقة الأولى بكلية الشريعة. لكنه يمارس مهام والده كمأذون للمنطقة منذ عدة سنوات. يتقن دوره تماما. أول مرة رأيته يؤدي ذلك الدور. سقطتُ على الأرض في خلفية المشهد من الضحك. رأيته وقورا لأول مرة في حياتي. يجلس بهدوء، يساعده جسده الضخم وطوله الفارع ليفرض هيبته على الجميع. سواي. لأني أعرف مصائبه منذ كنا في الإبتدائية معا. والده يعده لهذه المهمة منذ أدخله للأزهر. التقينا معا في معهد الإعدادي. والتقت أحلامنا. هو مأذون. وأنا إمام مسجد. لا تخرج في العادة أحلام طلبة الأزهر عن هذين. مع قراءة القرآن لصاحب الصوت الجميل والإتقان. عدا من يريد الإكمال في القطاعات العلمية المستحدثة. وهم قلة كنا نسميها دائمة بالمتمردة. فلا يجوز لطالب الأزهر أن يحلم بغير الدين والتدين. أو كما قال صديقي الشيخ المأذون. لا يهم أي شيء الآن. صديقي يعاني من أزمة كبرى. يتضح ذلك من همسه في الهاتف. وصلت إلى منزلهم ذو الثلاثة أدوار. استقبلتني والدته بحفاوتها المعتادة. مليكة تحمير الأوز وحشو البط بلا منازع. حنونة عليّ كأمي وأكثر. داخلها طاقة حب تكفي العالم أجمع. التقيت والده الشيخ المأذون الأصلي وأنا صاعد لشقته المنفردة المؤثثة في

الدور الثالث. لا يتبقى سوى العروس كما تقول أمه دائما. تتمنى تزويجه منذ السنة الأولى لنا في الثانوية. ومازال يقاوم بشدة. همس لي والده مبتسما :

صديقك في أزمة. ساعده ألا ينحرف..

لم أفهم شيئا. صعدت إلى الدور الثالث. ثم طرقت على الشقة طرقات متلاحقة متتالية كعادتي. خرج لي سريعا وطلب مني الصمت التام. كعادته عندما يكون في كارثة.

وأخذني بهدوء للداخل. جلس أمامي صامتا مرتبكا. كالطفل الذي ارتكب كارثة. قمت أتحسس خطواتي كي لا يشعر بي المقيمون بالمنزل. اقتحمت غرفة نوم صديقي المرتبك. توقعت أن يكون أحد أصدقائنا قد ارتكب مصيبة ما ويختبئ في غرفته. لكني ذهلت حين رأيتها. أولا بُهرت بجمالها. فتاة صغيرة لم تكمل العشرين. بالغة الجمال بالفعل. أنيقة بطريقة لم أعتدها في فتياتنا. واضح من ملابسها أنها من طبقة أخرى تماما. بعد أن تأملتها طويلا. وكدت أن ألقي عليها بعض جملنا الساخرة. لولا أن تذكرت المكان. والموقف. حينها فقط عاد لي وعيي. لا يمكن. صديقي آخره يلقي نكتة لا قيمة لها. يخجل تماما في حضرة النساء. ما الذي يحدث بالضبط؟ خرجت غاضبا غير مصدق. رافعا حاجبي ويدي معا. اقتربت منه وحدثته هامسا:

متى. وأين. وكيف ؟ انا لا أفارقك تقريبا. أيها الوغد.

انفجر في الضحك بطريقة جعلتني أضحك معه. فالوغد كلمتنا السرية حين نريد أن نسخر من شيء ما. ونحن نفعله. خرجت الفتاة على ضحكنا المتواصل. خجولة متعجبة. أخبرني أنها فتاة كان قد عقد لها قرانا عرفيا منذ فترة. ثم جاءته اليوم مستنجدة لأن الولد قد قطع الورقة بعد أن علم أنها حامل. فاضطر إلى الموافقة على أن تبيت عنده. لأنها من مدينة أخرى. والوقت قد تأخر. وسيذهب معها غدا لعمل محضر وإنقاذها من أهلها. نظرت له طويلا. ليس طبيعيا أن يجعل الأمر سريا ويجعل الفتاة تتسلل للمنزل كأنه يرتكب جريمة. نظرت له مرة أخرى. ثم همست: أيها الوغد. ماذا فعلت معها. نظر لي بهدوء. ثم قال ورأسه مطأطأ: مجرد قبلة لفتاة اشتقت إلى تذوقها طوال عمري.

طرق عندها الباب. فدخلت الفتاة إلى الغرفة سريعا. خرجت. كان والده يحمل صينية الطعام لأول مرة في حياته. فهمت مغزى ما يفعله. القلق يعتصره. واحترامه وتقديره لابنه يمنعانه من اقتحام الشقة. فهمست في أذنه: لا تخش شيئا يا عمي. لم يحدث شيئ. الفتاة في أزمة. وابنك رجل. وسأبيت معه لأصبح أنا ثالثهما الشيطان.

ضحك الرجل. أشرق وجهه. عادت له روحه في الحقيقة. لمحت دمعة على طرف عينه. وهو ينزل على السلالم.

2020-4-28

الطُّعم

أقنعني صديقي الجديد كرم أن نخرج معا في رحلة صيد للسمك من أحد الأماكن السرية التي يعرفها على حدود المدينة. سعدت جدا بهذا الإقتراح لأنه سيزيد من مهارتي في الصيد الذي أهواه ولا أمارسه كثيرا. طلب مني شراء سنارة عادية لأننا لم نكن نمتلك مَكَن المحترفين. تواعدنا على الخروج مبكرا لتجهيز الطعم الحي الذي نستخرجه من أطراف الحقول ونهاية ممرات الري في الأماكن الرطبة المنعزلة. لكنه فاجأني بأننا سنذهب إلى حقل للذرة قرب منزلهم يعرف صاحبه جيدا ولن يمانع أن ندخل الحقل. معروف أن حقول الذرة وقت نضج المحصول أماكن محرمة على الغرباء كي لا يسرق أحد كيزانها اللذيذة. لكن اطمأننت إلى ما قاله صديقي. ونحن في كل الأحوال لن نمس الذرة. لم أعرف لماذا أصر على الدخول من منطقة جانبية. وعدم إحداث صوت وكأننا سنفعل شيئا غير مسموح به. سألته فقال أن ذلك أفضل ولا يريد أن يلفت الإنتباه. دخلت خلفه إلى منطقة تتوسط الحقل بها مجرى مائي صغير. كانت عامرة بكل أنواع الديدان المناسبة للصيد. ملأنا علبنا. وبينما نحن منهمكون في ذلك. سمعنا صوت حركة. نظرت إلى صديقي. حرفيا. امتقع لونه. ارتعدت أطرافه. جحظت عينيه. انتقلت مشاعره لي. فاجتاحت الرجفة جسدي. ثبتنا في

أماكننا بلا حركة. مر من أمامنا أضخم كيان بشري رأيته في حياتي. كف يده تقريبا يماثل حجم وجهي. قدمه المشققة كأنها يد آلة ضخمة تضرب في الأرض بكل ثقل الجسد فتشقق الأرض تحتها. ظننته في البداية ماردا من الجن وهذا سر رعب صديقي. صديقي؟ سمعت صوت تسحب خفيف من خلفي. التفتت. وجدته يبتعد ببطئ وحذر شديد. يبيعني إذن. تحركت خلفه وهو يشير لي لأهدأ تماما. وبينما نتناقش بلغة العيون. فوجئت بصديقي يرتعد مرة أخرى بشدة أكبر. وهو يحملق في شيء ما خلفي. يبدو أن العملاق قد أحس بنا. وهو يقف الآن خلفي. قبل أن ينقض عليّ كما يحدث في أفلام الكرتون. أطلقت قدمي للريح. وأنا أشعر باهتزاز الأرض تحتي بفعل خطواته الجبارة. سار صديقي في اتجاه معاكس لاتجاهي. يبدو أنه يعرف المكان جيدا. ولسبب لا أعرفه. اختار العملاق أن يطاردني أنا. ألقيت سنارتي وما معي من طعم ليخف حملي فتزيد سرعتي. وأنا أتعجب من قدرة المارد على ملاحقتي رغم ثقل وزنه وعظم حجمه. وأنا لازلت صبيا في الصف الثاني الثانوي. ربما لأن المرتفعات والمنخفضات في الأرض وأعواد الذرة تعيق حركتي بينما هو يعرف حقله جيدا؟ خرجت من قضبان العيدان الخضراء أخيرا. غمرني شعور السجين الذي يتحرر من قيوده. لكني سمعت حركة اصطدام العيدان واهتزاز الأرض لا زالت مستمرة. فاستمررت بالركض. سمعت صوته المدوي للمرة الأولى يسب بكل ما في القاموس من محرمات، ويهدد لو عدت لسرقة الذرة مرة أخرى سيجعلني

سمادا لأرضه. لم أفهم المقطع الأخير. ولم أتوقف عن الركض رغم ابتعاد صوته وقد حانت مني التفاتة سريعة. فوجدته على البعد عملاقا حقيقيا لا يقل عن الرجل الأخضر. هكذا ثبّت خيالي الصورة داخلي. وبينما أحاول الإبتعاد راكضا بلا توقف. فوجئت بقبضة حقيقية تقابلني في وجهي. وكأنني اصطدمت بحائط إسمنتي. ثم تلتف حول جسدي أذرع قوية جدا لدرجة أنها حملتني من على الأرض حملا. ظننت أن العملاق هو في الحقيقة مارد استطاع اختراق المسافات وانتظاري على الجانب الآخر. لكني تبينت لافتة في المبنى الذي حملني إليه ذلك العتل القوي الذي يعصرني حرفيا. قسم الشرطة. ربطت الأحداث ببعضها سريعا. يبدو أن ركضي الخائف أمام قسم الشرطة قد جعل أحد المخبرين يظن أنني فعلت شيئا ما فقبض علي وأدخلني القسم. لم أستطع التحدث لشدة ضغطه على صدري. دخل بي في دهليز طويل انتهى بغرفة مكتوب عليها من الخارج: المباحث. يا ليلة سوداء؟ لقد أخذني مباشرة إلى غرفة المخبرين. ألقاني كأنني جوال دقيق على الأرض. أخذت نفسي أخيرا وتبينت ملامحه. جسد قوي جدا. أقصر مني. شارب ضخم. ملامح ميتة. قبل أن أتحدث معه خرج وأغلق الباب. أسرعت محاولا فتحه. لكنه أغلقه من الخارج. فأر في المصيدة إذن. اجتاحتني رغبة عارمة في البكاء. وفي قتل صديقي كرم. بدأت أتبين ملامح المكان. كلما وقت عيني على شيء. وقع قلبي في قدمي. هذا سوط أسود معلق على الجدار. وتلك قطع حديدية تشبه الخوازيق. وذاك كرسي عليه أماكن لربط

اليدين والقدمين. تبرز من ظهره ومن مكان الجلوس نتوءات حديدية صغيرة. وبجواري تماما بطارية يخرج منه عدة أطراف تشبه السكاكين ذات النصل الحاد.. وبينما أنا أتأمل. في قمة الرعب. تحت الضوء الباهت. لأن الغرفة لا نوافذ لها. ورائحتها خانقة. فوجئت بجدار مسمط يتحرك. وكأنه باب إلى غرفة سرية. وصوت مرعب لأنين مستمر. ورائحة تشبه احتراق الجلد، تسبق شخصين مبتسمين خارجان وعلى وجوههما فرحة واضحة. وأحدهما يقول للآخر:

أخيرا حصلنا على اعتراف.

عندها بالتحديد. كنت مستعدا للإقرار بكل جرائمي التي ارتكبتها في حياتي. منذ أول جناية لي، حين كذبت على أمي وأنا في أولى ابتدائي وأخبرتها أنني لم أضرب زميلي.

توقفا عن الكلام حين رأياني. وتحولت ابتسامتهما إلى غضب بالغ. وصاح أحدهما: من أنت؟ وما الذي أحضرك هنا.

بصوت متحشرج مرتعش أجبته:

لا أعرف. لقد أمسك بي شخص في الخارج بدون سبب. وأحضرني هنا. وأغلق علي من الخارج.

بطريقة عجيبة. ذهب الآخر وفتح الباب الذي عجزت عن فتحه. بمنتهى البساطة. يبدو أن الباب ثقيل لدرجة لم تمكن عضلاتي الضعيفة من التحكم فيه. كان ذلك العتل يقف أمام الباب من الخارج. ويبدو أنه لم

ينتبه إلى وجود حفل مقام في الغرفة الداخلية. ما أن رآهم. حتى بدا عليه الإرتباك الشديد. ثم أخبرهم أنه رآني أجري وتبدو عليّ علامات الخوف. ولهذا اشتبه بي. وأحضرني هنا.

لم أتوقع حقيقة رد فعل الأكبر عمرا في الشخصين الآخرين. عظيم الشارب. مظلم العينين. عنّفه بشدة. وهو يمسكني من رأسي. ويجعلني أدور حول نفسي كأنني راقصة باليه محترفة. دون أن أستطيع مقاومته. ويقول له هل هذا شكل مجرم؟ ثم سألني مباشرة. ما اسمك. وماذا كنت تهبب في الخارج.

أخبرته عن اسمي كاملا، وأنني كنت أمارس رياضة عادية حين تعلق بي ذلك الشخص.

سألني الآخر مرة أخرى عن والدي. فاتضح أنه يعرفه. وكأنما نزلت عليّ العناية الإلهية لتنقذني من هذا الموقف العجيب. أحسست ببعض الهدوء أخيرا. لم أكن أطلب الإعتذار الذي قدموه لي. والسلام لوالدي. مرفقا بالتعنيف الشديد لزميلهم الذي فهمت من كلامهم أنه مخبر حديث التعيين. خرجت من القسم تتراوح مشاعري بين رغبة عارمة في الإنتقام من كرم. وسعادة غامرة لأنني لم أجرب الغرفة السرية.

2020-4-28

النّحيف الكئيب

لم تكن رغبتي الملحة في البقاء منفردا متوافقة مع إصرار والدتي علي المبيت في شقتنا الصغيرة التي حصل عليها والدي مخلاص حق من أحد التجار الذي يدين له بمبالغ كبيرة. أرادت تثبيت وجودنا فيها حتى يظهر مشترٍ خوفا من التفاف ذلك التاجر أو تسليطه بعض بلطجية المساكن الشعبية التي تقع فيها الشقة للإستيلاء عليها. بينما كنت أفكر أنا في يومين أقديهما على أحد الشواطئ لتصفية ذهني وتخفيف قيود امتحانات السنة الأخيرة لي في الجامعة. بعد جهد جهيد أقنعتها أنني سأبيت فيها الليلة وسأعرف أهل المنطقة أنها شقتي التي سأتزوج فيها. أعجبتني الفكرة. فربما يحدث ما تعودت عليه من دفع الأمهات لبناتهن دفعا للظهور في طريقي. وهذا يؤدي إلى وقوع بعض السمك في الشبكة المنصوبة دائما. عريس لقطة. لم تفزعني مظاهر العزلة التي تتميز بها تلك المساكن. فهي تقع على أطراف المدينة، يتطلب الوصول إليها الحضور قبل المغيب. أو على أقصى تقدير قبل صلاة العشاء. لأن الحياة تتوقف حرفيا بعد ذلك. وتصبح وسيلة المواصلات الوحيدة هي التكاتك التي يتفنن أصحابها في فرض مبالغ كبيرة رغم المسافة التي لا تتعدي ثلاثة كيلومترات عن الطريق الرئيسي. لكنها بالليل تكون خطيرة جدا بسبب الكلاب الحقيقية. والكلاب

البشرية التي لا تتوانى عن التعرض للغريب والضعيف بكل بجاحة. كنت أعرف كل ذلك من سؤالي لبعض الأصدقاء عن طبيعة المنطقة. تسلحتُ بالشاحن والحاسب المسلح بوصلة النت لإنهاء بعض الأعمال المعلقة. ومشاهدة بعض الأفلام المؤجلة. الشقة لا يوجد بها سوى مرتبة على الأرض، ومقعد صالون ضخم غريب الشكل، وثلاجة قديمة ملأتها ببعض المشروبات الغازية والطعام الجاهز. بينما اشتريت الكثير من المسليات والمقرمشات من محل البقالة الوحيد وسط المساكن. وأخبرت صاحبه عن الشقة. ولو استطاع توفير مشتر مناسب فمن الممكن أن أفكر في البيع وتأجيل الزواج. مررت أيضا على بائع الفاكهة والمخبز الصغير وأخبرتهم بذلك. أعرف أن الخبر سينتشر في لا وقت. فالكل على علاقة بالكل في هذا المجتمع المنغلق على نفسه إجباريا. صعدت إلى الشقة بعد أن قضيت بعض الوقت في المقهى الوحيد. ونشرت الخبر خلال جلوسي مع بعض الشباب ولعب الطاولة معهم. كانت الساعة تقارب الخامسة مساءا حين فتحت الشقة وأنرت جميع أنوارها. رغم أن الشمس لازالت تصارع ليل الشتاء القادم سريعا. لكن بقي على الليل ما يقارب الساعة. قبل أن أرتاح. فوجئت بطرقات على الباب. خرجت متعجبا. وجدت رجلا نحيفا طويلا قليلا. متجهم بشدة. سألني عمن أكون بفظاظة. فسألته عمن يكون بغضب. شعر بنفسه فاعتذر وقال أنه جاري الذي يقطن أسفل مني. وطلب مني ألا أحدث ضوضاء أو أدبدب بقدمي لأن السقف رقيق وأولاده

ينزعجون. نظرت له متعجبا. وأغلقت الباب دون أن أرد عليه. بمجرد نزوله. انقطعت الكهرباء. كنت أعلم من أصدقاء أن الكهرباء تقطع كثيرا في هذه المنطقة. فاستعديت بشمع وولاعة ومصباح صغير يشحن مسبقا. لسوء حظي لم يكن مشحونا. فاضطررت لاستخدام الشمع. أثناء خروجي لإحضار الشمع. تعثرت في حقيبتي. فسقطت بعنف. شعرت أن النار تشتعل في يدي. قبل أن أستعيد توازني. فوجئت بطرقات على الباب. خرجت متحاملا على تأوهاتي. كان ذلك النحيف المتجهم. يحمل مصباحا ويطلب مني مراعاة مشاعر الجيران.

نظرت له بتمعن هذه المرة. شبح ينعكس ظل مصباحه على الجدار فيكوّن شكلا مركبا معقدا لا ملامح له. أغلقت الباب دون ان أتحدث. لن أجعل مثل هذا الشخص الغريب يستفزني. أريد أن أركز في الإنتهاء من أعمالي المتأخرة. دخلت الشرفة لأرى ما يحدث في المجمع المظلم. الشقق تقريبا كلها مفتوحة. رغم لسعة البرد الخفيفة. شعرت أن كثيرا من العيون موجهة نحوي. وشقتنا تتوسط المجمع في الدور الخامس والأخير في العمارة الثالثة. من عشرين عمارة في المنطقة. جلست على مقعد بلاستيكي صغير وجدته في الشرفة بعد أن أغلقت شمعتي حرصا على ليلة طويلة فيما يبدو. بعد ما يقارب النصف ساعة كنت قد حددت معظم ساكني الشقق. ليس تجسسا على أحد. لكن كسرا للملل الذي بدأ يجتاحني. لم أري شيئا مميزا. ولا فتاة تستحق المتابعة. بينما كنت أحملق في شقة مواجهة لي يفصلنا عنها ساحة

بين العمارات. عادت الكهرباء. كنت في الحقيقة أشك فيما أراه. لكنه تأكد لي. قبلة سينمائية شبحية طويلة كانت تدور في تلك الشقة خلف باب الشرفة المفتوح. فضحتها الكهرباء. سمعت ضحكات رقيعة من بعض الشقق التي يبدو أن أصحابها كانوا يراقبون نفس المشهد. دخلت الشقة تاركا الشرفة مفتوحة وأعددت طعاما سريعا مع وضع المصباح علي الشاحن ثم بدأت عملي على الحاسب. بعد ساعتين متواصلتين شعرت أن ظهري سينكسر. قمت أفرده وسرت ناحية الحمام مرتديا حذاءا خفيفا. لم أنتبه مرة اخرى للحقيبة فتعثرت ووقعت بشدة أكبر هذه المرة. تألمت فعلا من يدي وقدمي. وقبل أن أقوم. كان الباب يطرق بطريقة مستفزة فعلا. وكأن ذلك النحيف يجلس خلف بابه ينتظر حدوث أي صوت. فتحت الباب والغضب العارم يجتاحني. النحيف الكئيب يرتدي ملابس منزلية بنفس ملامحه الجامدة. صاح في هذه المرة أن ما أفعله لا يصح وعليّ أن أراعي الجيران. نظرت له من أسفل لأعلى. ثم أغلقت الباب بشيء من العنف. عدت إلى الداخل فتناولت مشروبا غازيا وبعض المقرمشات وأنا أشاهد فيلم أكشن جديد. بعد انتهائه شعرت برغبة ملحة في النوم. خرجت بحرص بالغ كي لا أصطدم بالحقيبة وأضطر إلى مشاهدة ذلك السمج مرة أخرى. لأنني حقيقة لن أحتمل هذه المرة. تجهزت للنوم تاركا الشرفة مفتوحة. تركت الحاسب يعمل على إحدى القنوات. وذهبت في النوم. بعد فترة لم أعرف قدرها. شعرت بنغزات قوية في قدمي. وكأن أحدهم يضربني بطرف

شيء حاد. كان الظلام الدامس يغلف الشقة من الداخل. ولا ظهور الضوء إلا من خلال تخلله لباب الشرفة المفتوحة. حاولت القيام لإشعال شمعة. فقد أدركت أن الكهرباء مقطوعة. فوجئت تماما بشيء يجلس على مقعد الصالون القديم. لم أتبينه جيدا بسبب الظلام. لكني رأيت ما يشبه العين الحمراء. ظننت أن ذلك النحيف قد دخل الشقة بطريقة ما. كدت أصرخ فيه. لكنني لم استطع القيام. كأن شيئا ثقيلا يجثم على صدري. بصعوبة بالغة مددت يدي ووصلت إلى الولاعة وأوقدت الشمعة التي بجوارها. فخف الحمل من على صدري. وضعتها بجانبي. وقد كنت مرهقا لدرجة عدم التفكير أساسا فيما يحدث. لكن. سمعت صوت تيار هواء خفيف بقربي. يطفئ نور الشمعة. ثم يعود الشيئ الثقيل ليكبلني. عندها فقط. تذكرت تحذير أحد أصدقائي. من وجود مقابر قديمة بالقرب من المساكن. لم يعد أحد يستخدمها. وتروى عنها أساطير غريبة. إذن ربما أواجه وحدي. في منطقة معزولة. في شقة الدور الأخير. روحا هائمة غبية. تريد أن تقضي وقتا ظريفا مع ضحية بشرية. نظرت ناحية المقعد. نفس العيون الحمراء بلا جسد. أخذت نفسا عميقا. وأشعلت الشمعة مرة أخرى. وأنا أقول بصوت مرتفع: لست أنا من يخاف من أوهام. لو كنت حقيقة سأحرقك. وإن كنت خيالا سأصرفك.

لا أعرف من أين جاءتني كل تلك الجرأة. وأنا أواجه هذا الموقف العجيب للمرة الأولى في حياتي. قبل أن أذهب في النوم من جديد. شعرت بحركة.

فتحت عيني. فإذا بالعين الحمراء يظهر تحتها ما يمكن أن أسميه ضحكة حمراء أيضا. لا شيء غير ذلك. والأدهى. أنهما فوق صدري. أمام وجهي مباشرة. وكأن صاحب المقام الرفيع لم يعجبه كلامي. كنت مكبلا تقريبا. وشفتاي لا تقويان على الصراخ. ما عدا يدي. بكل قوة متبقية في جسدي. أخذت أضرب على أرض الشقة. تتسع ابتسامة الكيان الغامض. ويزداد الثقل على صدري. فتزداد قوة ضرباتي. بعد قليل. سمعت طرقات عنيفة على باب الشقة. فاختفى ذلك الكيان فجأة. أسرعت افتح الباب. ثم ارتميت في أحضان النحيف الكئيب وانا أصرخ: أحبك يا جاري العزيز.

2020-4-30

****

المعسكر

طوال اليوم وأنا أحاول استباق الوقت للوصول إلى أول المدق قبل المغيب. خرجت من بيتنا بعد الفجر مباشرة. ركبت قطار الأرياف إلى كفر الزيات. ومنها ركبت قطار القاهرة. كل ذلك يعطينا مساحة كبيرة من الوقت. وكانت الدنيا تسير بسلاسة مبشرة. لكن. ما أن خرج القطار من محطة كفر الزيات بعدة كيلومترات. حتى توقف تماما. لم أعر الأمر انتباها في البداية. بل صعدت إلى مكان الحقائب ومددت قدمي لأنام قليلا. فالليلة تقريبا قضيتها بالكامل مستيقظا مع أصدقائي. هذه هي رحلتي الأخيرة للمعسكر. بعدها سأحصل على شهادة إنهاء خدمتي العسكرية. وأبدأ حياتي العملية. أخطط للعمل في شركة التصدير التي يملكها أحد أقاربي كمحاسب لعام أو عامين. أتزوج خلالها حبيبتي ابنة خالي. وبعدها أسافر لبلاد المال لسنوات تمكنني من عمل مشروعي الخاص. حلم تقليدي بسيط. لكنه يناسبني جدا. ويكفيني أيضا. بينما أنا غارق في أحلامي. مر محصل القطار. وأعلن أن الجرار معطل. وسننتظر المدَد من طنطا. وقد يستغرق ذلك حوالي ساعة. لا يهم. الوقت مبكر. لم تصل الساعة إلى العاشرة بعد. على أقصى تقدير. سأصل القاهرة على الساعة الثانية. أركب سيارات السويس من رمسيس. أقل من ساعة أكون في مدخل المدق. في

منتصف المسافة تقريبا بين القاهرة والسويس. لألحق بسيارات المعسكر. التي تتوقف مع حلول الليل. صدق المحصل فيما قاله. وهي من المرات النادرة. قبل منتصف النهار. كنا في محطة طنطا. لاحظت أن القطار دخل على قضيب التخزين. لا يهم. نصف ساعة أخرى لمرور القطارات الفاخرة والمباشرة. تستحق المرور بركابها المكيفين. سأكون منهم قريبا جدا. طال الإنتظار لأكثر من ساعة. يقولون في السكة الحديد أن القطار المتأخر لا كرامة له. يهدر وقته على كل الأرصفة. رغم أن التأخير في غالب الأحيان يكون بسبب سوء حالة الجرارات. أو ضعف صيانتها. لا يهم. تحرك القطار أخيرا. بعد أن سبقته أربعة قطارات في وقتها الطبيعي. ظل يسير ويتوقف حتى وصلنا قرب الثالثة عصرا إلى محطة مصر. مازال على المغرب أربعة ساعات. الوقت ملكي. ذهبت إلى موقف السويس. كانت الصدمة المباشرة. ركاب كثيرون على الأرض. ولا توجد سيارات. يقولون أن الطريق مغلق بسبب تشريفة منذ الصباح. والكل عالق على طريق السويس. وهذا أدى إلى زحام قاتل على طريق الإسماعيلية. دخلت أول سيارة من بعيد. بسرعة البرق تحولت السيارة الصينية الضيقة إلى كومة بشرية. حمّل أربعات في المقاعد التي يجلس فيها ثلاثة بصعوبة. لم يعد فيها مكان للنفس. لمحت سيارة أخرى تتسلل من بعيد. بسرعة كنت من أوائل من وصل لها. ركبت بصعوبة بالغة والناس يتقاتلون حرفيا. رأيت سيدات وفتيات يبكين لأن الوقت يداهمهن. وكبار السن لا يستطيعون الدخول في هذه المعمعة. لم

أستطع التنازل عن مقعدي لأحد. ليتهم يتفهمون أنني لا أملك رفاهية الوقت. حمّل السائق أربعة ركاب في كل مقعد. وزاد الأجرة أيضا. أسوأ خلق الله سائقو سيارات الأجرة حين يستغلون الظروف. ثم يشتكون طوال الوقت من تسلط بعض أمناء الشرطة عليهم. انتقام السماء من مجموعة من ممتصي دماء الركاب. مع كمية لا نهائية من قلة الذوق. كانت صدمتي الكبرى الأخري حين وجدنا الشوارع كلها مختنقة. لساعتين كاملتين كان السائق يحاول الفكاك من قبضة القاهرة. ونحن نختنق حرفيا في علبة السردين الضيقة. حتى وصلنا إلى أول طريق السويس والساعة تقريبا عند السادسة. طلبت من السائق أن يسرع قليلا لألحق بآخر سيارات المعسكر. لكنه بمنتهى الإستفزاز وقف على جانب الطريق وأخذ يصرخ كي لا يستعجله أحد وأعصابه محترقة من هذا اليوم المزدحم. طلب مني الركاب عدم التحدث وترجّوه لكي يكمل طريقه.

سار متعمدا بسرعة أقل من مملة. والكل يزفر في ضيق. البعض يحملني مسئولية عناد السائق. حتى وصلنا إلى كمين لا يزال قائما رغم قرب الليل. في كل الأحوال لن ألحق بالسيارة الأخيرة. وسيكون عليّ أن أسير في قلب المدق لأكثر من خمسة كيلومترات. عند الكمين. ناديت على الضابط الجالس في سيارة المرور على جانب الطريق. بعد أن لمحت السائق يضع مبلغا في يد الأمين لكي يمر بحمولته الزائده. حضر الضابط سريعا. ليرى سبب هذه الجلبة. فتحت باب السيارة بعنف بالغ. وقلت له أن السائق حمل

أربعة ركاب زائدين. ويطلب أجرة زائدة. والأمين قد شاهد ذلك. ولم يتخذ أي إجراء. من حسن حظي أن الضابط كان مختنقا أيضا من اليوم المقرف الطويل. ويبدو أنه لا يطيق الأمين ايضا. فقام على الفور بسحب رخص السائق وعمل محضر له. لم يقف معي أحد من الركاب. كلهم لاموا عليّ تهوري في الحصول على حقهم. لم أحتمل. انفجرت فيهم لاعنا سلسفيل ضعفهم وخنوعهم واستسلامهم لابتزاز السائق الحقير. وكدت اشتبك مع أكثر من شخص منهم. لولا ضابط المرور الذي هدأني. محترما الزي العسكري الذي أرتديه. وأصر على سحب الميكروباص ومنعه من إكمال رحلته. بينما أوقف لي سيارة ملاكي محترمة وطلب من قائدها أن يأخذني معه. لألحق ما تبقى من وقتي. حقيقة. لم أكن أتوقع كل هذا منه. شكرته بشدة. ولعنت الخانعين مرة أخرى. وضحكت ساخرا منهم. لأنه في أفضل تقدير. لن يصلوا أبدا في موعدهم. بعد أقل من نصف ساعة. كنت على أول المدق الجبلي. رأيت السيارة العسكرية الأخيرة من بعيد وهي تتحرك. ظل قائد السيارة التي أركبها يطلق أبواقا لعلهم يسمعون. لكن مع الأسف. سارت بسرعة لم تمكنني من اللحاق بها. شكرت قائد السيارة الذي عرض أن يوصلني للداخل. لكني أخبرته ان سيارته الرقيقة لن تتحمل وعورة المدق. كان الليل قد أرخى سدوله بالكامل على المنطقة. مازال في تصريحي حتى منتصف الليل. وليس أمامي سوى قطع هذه الكيلومترات على قدمي. تستغرق ساعة تقريبا. بمجرد أن سرت قليلا. اختفى الطريق من خلفي.

المدق عبارة عن مرتفعات ومنخفضات حجرية. تلال خلف تلال. وهو ما يزيده من صعوبته. بعد عشرة دقائق من السير تقريبا. سمعت صوت سيارة قادمة من خلفي. استبشرت خيرا. ربما تكون إحدى مهمات المعسكر متأخرة لسبب ما. هذا من حظي بالتأكيد.

وقفت ألتقط انفاسي. عشرة دقائق. ربع ساعة. لم يظهر شيئ. ظننت أن سمعي قد خانني. واصلت التحرك. صعدت تلة. وأنا أهبط. فوجئت بالسيارة قادمة بسرعة. ظهرت فجأة فوق التل. وقفت في وسط الطريق كي يراني. لكني فوجئت بها تهبط بسرعة كبيرة. بصعوبة شديدة ألقيت نفسي على جانب الطريق. من هذا المجنون. ربما يكون ماهر. هي طريقته في القيادة. في أسفل التل. وقفت السيارة. تخرج منها أبخرة كثيرة. ظننت موتورها قد احترق بسبب طريقة القيادة الغبية. اقتربت منها والغضب يتمكن مني. على مسافة قريبة. ظهر ماهر كما توقعت. كان يصلح شيئا في الموتور. متأكد انه رآني. نظر لي مباشرة. لكن ملامحه تبدو غريبة. وكأنه حزين أو غير مركز. ركب السيارة المدرعة الثقيلة. أخذت أناديه. لكنه تحرك قبل أن أصل مباشرة للسيارة. تحرك بسرعة غير طبيعية. ناديت عليه بكل قوتي. سببته بكل المصطلحات التي أعرفها. كل ما رأيته قبل أن يختفي بعد التلة التالية. يده تخرج من الشباك. وهو يشير لي بإصبعه الأوسط. استشطت غضبا كما لم أفعل من قبل. أسرعت الخطى حتى وصلت إلى المعسكر. كانت المدرعة تقف أمام مبنى الافراد. دخلت مباشرة نحو المدرعة. فوجئت

بماهر يقف عليها. سببته بشدة مرة أخرى. أخذ يضحك بجنون. ألقيت حقيبتي وجريت خلفه. كلما أوشكت على الإمساك به. يقفز بطريقة رشيقة غير معتادة. تعبت. وقفت ألتقط انفاسي. رأيته يخرج لي لسانه. ثم يدخل المبنى. دخلت خلفه بمنتهى الغضب وأنا أحلف أنني سأقتله. بمجرد دخولي. فوجئت بالوحدة بالكامل تقريبا موجودة بالمبنى. والقائد ومعه رتب كبيرة يقفون على الجانب الآخر. طلبني القائد فأديت له التحية العسكرية. سألني عمن أقصد بالقتل. اعتذرت وأخبرته أن ماهر المجنون رفض الوقوف لي وسخر مني وجنني.. ساد صمت غريب مع تبادل للنظرات. بين القائد ومن معه. ثم قال لي.. المجند ماهر انتحر هذا الصباح. فتحت عيني مذهولا. ثم سقطتُ مغشيا علي...

2020-5-1

****

عشية انقطاع الأنفاس

لم يكن إجراء المسحة هو الإجراء الملح في ذلك اليوم السابع من ظهور أعراض وصفها الكثيرون بأنها قريبة من أعراض الكورونا. بل كانت كل هواجسه تدور حول عدد من نقل إليهم العدوى خلال تلك الفترة. كل يوم تزداد مسالك الهواء انسدادا داخل صدره. ويصبح الحصول على نفس طبيعي داخل وخارج أصعب من كل شيء تمناه في حياته. ما أشد المحنة وأغرب الموقف. تلك الأشياء العادية التي لا قيمة لها تصبح في لحظة ما هي الأغلى والأكثر قيمة من كل المعادن المزيفة الملونة التي جعل الطمع البشري لها قيمة. النفَس. ذرات الهواء التي كفلها خالق البشر لكل إنسان. يدخل مخلوق بالغ الصغر. بل غير حي في الحقيقة. ليحارب كل القوى المعادية التي تنتظره في الفم. ثم يتسلل خلسة إلى الرئتين حيث تتواجد مقومات حياته. فيصبح الفيصل من يسيطر على المكان أولا. تتسارع الحركة داخل الجسد. يصل إلى العقل إنذار شديد اللهجة بوصول مخلوق غريب إلى الجهاز التنفسي. يعلن العقل حالة الطوارئ القصوى والإستنفار العام. يرسل كتيبة استطلاع انتحارية للتعرف على الضيف الثقيل. بعد شد وجذب ومعارك طاحنة. يستطيع أحد افراد مخابرات الجسد. الحصول على الخريطة الجينية للضيف. فيسرع بها إلى مركز فك الشفرات. أثناء هذه الأحداث

المتسارعة. ترتفع حرارة الجسد بصفة مستمرة عاكسة طبيعة الصراع الساخن الدائر في الداخل. عملية فك الشفرة تحتاج إلى عدة ايام. والضيف الثقيل يحكم سيطرته على الصدر وينشر ملايين الجنود. ويغلق الممرات بين الشعب الهوائية مكونا خطوط دفاع متعددة. في تلك المرحلة. بين اليوم الخامس والسابع. يصبح الحصول على شهيق وزفير طبيعي. أمرا مستحيلا. فيزيد معدل التنفس. ويتم البحث عن مصدر خارجي لرفع نسبة الأوكسجين في الدم. اضطر إلى الإستسلام للنظام الصحي الفاشل. قبل أن يعجز تماما عن القيام بعملية التنفس. وصل إلى مكان أخذ المسحة في إحدى مستشفيات العزل وهو في حالة متوسطة. حذروه من الإرهاق مع ضرورة الراحة التامة وتناول الطعام الصحي ليساعد جهازه المناعي في حربه الضروس القائمة حاليا. لثمان ساعات كاملة. ظل منتظرا في حجرة صغيرة مع حالتين من السيدات. نعم. كل شخص يتجرد من اسمه وصفته وجنسه. الكل يطلق عليهم حالات. حالة اشتباه. حالة مؤكدة. حالة متعافية. حالة متأخرة. حالة متوفية. في لحظة الإصابة بالأعراض ودخول المستشفى. تنتهي الدنيا بالنسبة للمريض. وينتقل إلى منطقة المعلقين بين الحياة والموت. وهي منطقة شديدة الضبابية. لا شيء واضح فيها. ولا يعرف أحد ماذا سيحدث في الخطوة القادمة. يقولون أن الروح المعنوية مهمة جدا لمساعدة الجهاز المناعي على العمل. وتلك الثماني ساعات التي قضاها في غرفة الإستقبال الضيقة. يستمع فيها لصرخات المرضى الواضحة. وضحكات

طاقم التمريض اللاهية. كانت كفيلة بتدمير معنوياته تماما. أخيرا. تم أخذ المسحة الشهيرة منه. أنبوب اسطواني صغير مغلف بقطن. يدخل من أنفه حتى يصل إلى ما خلف جيوبه الأنفية. وأنبوب آخر يدخل من فمه حتى يصل إلى حلقه ويكاد يجعله يرجع كل ما في بطنه. بعد الساعات الثماني الطويلة. وتجربة المسحة العنيفة. التي قامت بها دكتورة أنف وأذن كما قالوا. لا يبدو منها شيء وهي ترتدي أزياء الكائنات الفضائية. كان مقتنعا تماما أنها تجربة الموت. كما دخل بواسطة مهمة. تمكن من الخروج أيضا بواسطة مهمة. لا يمكن أن يستمر في ذلك المكان القابض الموحش. القلوب فارغة تماما واللامبالاة واضحة على الجميع. هي مجرد حالات في النهاية يموت من يموت ويعيش من يعيش. سريعا عاد إلى بيته منعزلا في غرفة خاصة. الحزن ليس في العزل. لكن في استمرار الإحتمالات اللا نهائية أنه قد نقل العدوى إلى من حوله. لا يكاد يستطيع الحديث. السعال الجاف لا ينقطع. والكلام يحتاج إلى الهواء ليحمل الكلمات. الحروف تموت عند بداية الشفتين. والصدر ينغلق كأنه قبو مظلم في بيت قديم. لم تدخله الحياة منذ أجيال. عند منتصف الليل. كانت كل الطرق إلى صدره قد أغلقت. نجح الفيروس في السيطرة على المداخل والمخارج. الهواء. أرخص ما على وجه الأرض. وأكثره انتشارا. اصبح قليلا لدرجة لم يعد يستطيع معها أخذ نفسه. تتراءى أمام عينيه دروب كثيرة. كلها تؤدي إلى مكان واحد. قبل الفجر بقليل. في ليلة لم يستطع النوم فيها. كان يحارب من أجل نفس واحد

ينقذه. فكرة أن تختنق وأنت محاط بكل هذا الهواء. فكرة مرعبة. قاتلة في ذاتها. عند الصباح. كان المدد قد وصل له. أنبوبة أكسجين وجهاز بخاري لعمل جلسات تنقية. استرد قدرته على مواجهة الكائن المتوحش الرابض في صدره. وأعطى لجسده فرصة للسيطرة على المهاجم.. في تلك الليلة الطويلة. ولد من جديد..

2020-7-1

****

لا يوجد مكان

لم يجد بدا من الإستجابة لإلحاح الطبيبة بضرورة دخول المستشفى قبل أن تتدهور حالته. طلبت منه في الصباح أن يتوجه إلى استقبال مستشفى وسط المدينة. سيجد ممرضة في انتظاره. ستساعده على الدخول بعد أن ظهرت نتيجة المسحة إيجابية. أصرت زوجته على مصاحبته حتى باب المستشفى. رغم المخاطر المحيطة بالمرض المستجد اللعين. الحالات منتشرة أمام باب الإستقبال تستجدي الدخول. بعضها يبيت منذ يومين. تبدو عليهم الأعراض الشديدة من سعال مستمر وإجهاد واضح. الكارثة أن بعضهم لا يرتدي الكمامة الواقية. ورغم ذلك. لا استجابة من الداخل. الرد دائما جاهز. لا مكان. وصلت الممرضة فأدخلته وأوصته بما سيقوله للطبيبة المناوبة. نفذ ما طلب منه. فكتبت له الطبيبة على اشعة وتحاليل. وطلبت منه ان يقوم بها حالا لتوضيح الحالة. لا تكاد قدماه تحملانه. لكنه اضطر إلى الإعتماد على نفسه. فلا احد يركز مع أحد. ذهب لقسم الأشعة اولا. بعيد جدا. رواق خلف رواق وسلالم كثيرة. الكل لاه في حاله. لا أحد مهتم بأحد. بتأفف شديد طلب منه فني الأشعة ان ينهي دوره سريعا. ثم طلبوا منه انتظار الأشعة في نهاية الرواق وأن يجلس لوحده تماما. سمع ذلك الفني ينادي على كل من في القسم. انتبهوا. البلاوي تتحدف

علينا. مريض كورونا كان هنا حالا. البسوا كماماتكم بدل أن تلبسوا المرض. اين ذهب صاحب الوباء. نبهته ممرضة أن صاحب الوباء يجلس قريبا ويسمعه جيدا. ارتبك قليلا. ثم طلب منها ان تعطيه اشعته وتصرفه بأسرع وقت. لم يرى أحد تلك الدمعة التي رسمت منحدرا بين عينيه ومشاعره. لا يمكن ان يلوم ذلك الفني على فظاظته. أقرب الناس له تحاشوه تماما. وهذا حقهم بلا شك. لولا فدائية زوجته وإصرارها على مرافقته لأنهما معا على الحلوة والمرة كما قالت. مع أخذ المحاذير اللازمة. لقتله الشعور بتجنب الجميع له.. منكسرا عاد يجر أقدامه بعد أن ارهقته الحركة الكثيرة. الصراع عنيف داخل صدره. والأنفاس لا تجد لها مكانا في رئتيه. قام بإجراء تحاليل الدم المطلوبة. ثم التقى الممرضة مرة اخري فوفرت له سريرا في الاستقبال الممتلئ عن آخره بصعوبة بالغة. وبصعوبة اكبر. وفرت له أنبوب أوكسجين. اقتحم الهواء النقي رئتيه. ورسم له دربا جديدا للحياة كاد ان ينقطع اكثر من مرة. الساعة تقارب العاشرة. عند الواحدة تغير شفت التمريض. وازدادت الحالات حتى افترشت أرض غرف الاستقبال الثلاث التي تتسع كل منها لعشرين سريرا. بدون اية مقدمات. تقدمت ممرضة جافة جدا وسحبت انبوب الأوكسجين لتعطيها لمريض آخر. اصبحت التوازنات فيما يبدو من يستحق الحياة أكثر. لا يوجد مكان. كانت الكلمة التي سمعها على مدار الساعات الخمس التالية. وقالوا انه من المرجح ان تبيت جميع الحالات في الاستقبال. بلا طعام ولا خدمات ولا رعاية. ولا

أوكسجين . هي موتتنا الأولى إذن.. شعور غلب على الجميع في نهاية اليوم. لكن انفراجة مفاجئة حدثت بخلو بعض الأماكن في جناح العزل. صعد ستة فقط من الستين. كان هو بينهم. لم يعرف ابدا مصير من كانوا معه في الاستقبال. ولا من الذين دخلوا مكانهم. هل حالات شفاء. ام حالات موت. صعدوا للدور الرابع. وكانت المفارقة الفاصلة. جناح النساء والتوليد. هو جناح العزل. فهل هو ميلاد جديد؟

2020-7-7

****

عنبر العزل

أوصاه طبيب المخ والأعصاب أن يتوجه فورا إلى مستشفى الجامعة لقياس نسبة الأوكسجين في الدم والحصول على جلسة أوكسجين إذا اقتضى الأمر. توجه الأستاذ الدكتور سعد الغرباوي إلى المستشفى الجامعي المخصص لأعضاء هيئة التدريس. استقبلوه بحفاوة. أظهر القياس أن نسبة الأوكسجين هي 76٪. وهي نسبة منخفضة جدا. قام الطبيب المناوب بإدخاله فورا إلى غرفة العناية للحصول على رعاية كاملة وجلسات أوكسجين ومراقبة الحالة. لم يكن هذا ما يريده الدكتور سعد. فهو معتاد على انخفاض الأوكسجين على فترات متباعدة بسبب عمره الذي جاوز الخامسة والسبعين وبعض المتاعب الصحية كلما أدى مجهودا كبيرا. لكنه رضخ في النهاية لأوامر الطبيب زيادة في الإطمئنان. بعد أن مر من بوابات متعددة. كان يرى كأنه يدخل من عالم إلى عالم غامض. ولاحظ أنه يتم غلق الأبواب بالمفاتيح خلفه. لم يفهم ما يحدث حتى وصل غرفة العناية. فوجئ بدخول كائنات فضائية عليه ففزع بشدة. وصاح فيهم: من أنتم؟ وأين أنا بالضبط؟

لم يشاهد تعابير وجه تلك الفتاة العشرينية أسفل تحصيناتها الكثيرة. أجابته بلا مبالاة: عنبر عزل الكورونا يا أستاذ!

استوعب الدكتور الكلمات للحظات. ثم أخذ يصيح فيهم:

من الغبي الذي قال لكم أنني مصاب بالكورونا؟ هل شاهد أي أحد أعراضا ظاهرة. نقص الأوكسجين له أسباب أخرى.

مرة أخرى لم يشاهد امتعاض الممرضة ونظرتها المتعجبة له. عقبت عليه:

أنت في نعمة يا أستاذ. ولابد أنك عندك واسطة كبيرة. لقد جاملك الدكتور وأدخلك مباشرة إلى العناية. هذا لم يعد يحدث أبدا. ولم يعد أحد يُشخّص المرض أصلا. الناس تموت على الباب يا أستاذ.

لم يستوعب الدكتور كل ما قالته. كل ما يهمه ماذا سيفعل في هذه الكارثة. إنه في مصدر الوباء نفسه. دخل سليما ولابد سيخرج مصابا. رضخ في النهاية بعد أن اتصل بطبيبه الذي منه التحمل والحرص لعدم وجود غرف عناية فارغة.

بعد يومين استقرت حالته تماما. ظن أنه سيخرج حين حضر له ممرض بكرسي متحرك لأخذه. تهللت أساريره وحمل كل أغراضه. سار الممرض في اتجاه الدور الأسفل. ثم انحرف فجأة إلى مبنى آخر مجاور. لم يجب الممرض على أي سؤال للدكتور. حتى وصلوا إلى المبنى وطلب الممرض من الدكتور بمنتهى اللامبالاة النزول من على المقعد المتحرك. كان الغضب قد تمكن تماما من الدكتور سعد. حضرت ممرضة وطلبت منه الدخول في أية غرفة من الغرف الخمس التي يتضمنها القسم. أخبرها أن حالته جيدة ويريد الخروج. لكنها صدمته أنها ليست لديها السلطة ويجب أن يراه دكتور أولا.

وربما يحضر بعد قليل. هدأ الدكتور سعد قليلا وسار في اتجاه الغرف. فتح أول باب ففوجئ بخمسة أسرة في الغرفة الصغيرة أربعة منه مشغولة. عندها. فقد صبره تماما. وأخذ في الصياح:

سأسجنكم جميعا. أنا أستاذ دكتور في الجامعة. أدفع مبالغ كبيرة في الإشتراك الصحي. وهذه مستشفى الجامعة. من حقي غرفة منفردة في الدرجة الأولى. أين المدير. أريد الخروج من هنا.

شعرت مشرفة التمريض بخطورة الموقف أخيرا. فمنحته غرفة منفردة في الدور الثاني للقسم. عرف أنه قسم اقتصادي يتم الدفع فيه مقدما. لكنها استأذنت المدير شخصيا ووافق مشكورا.

لم يستوعب الدكتور سعد كل تلك المفارقات. اتصل بزملائه في الكلية يطلب منهم التدخل وإخراجه من هذه المقبرة المسماة مستشفى. جاءه رد عميد الكلية أن اليوم التالي سيشهد وصول رئيس قسم الصدر بكلية الطب للكشف عليه شخصيا. هدأ عندها الدكتور سعد ودخل غرفته. أقل من عادية وليس بها حمام خاص. بدل ملابسه مرة أخرة وارتدى ملابس رياضية ثم توجه إلى الحمام المشترك في نهاية الرواق. كانت صدمته أكبر من كل الصدمات السابقة. سرسوب ماء مستمر من حوضين شديدي القذارة. حمامين ودش بلا أبواب. شيء مقزز جدا. لكنه استوعب الدرس. وسيحافظ على ضغطه وسكره وأعصابه هادئة. لأنه أدرك تماما أن التعامل مع

الممرضات لن يجدي شيئا. أدى حاجته على قاعدة حمام متعفنة. لم يطق جلده فدخل مباشرة للحصول على دش. وهو عار تماما تحت الدش دخل نزيل آخر يبدو أنه متعود على الوضع. صبح عليه وهو عار تماما تحت الدش ولم يهتم. ضحك الدكتور وهو يلاحظ الأصوات الصادرة عن معدة ذلك النزيل. ثم خروجه وغسل يده وذهابه دون الإهتمام كثيرا بالتفاصيل. يبدو أن له فترة هنا وقد تعايش مع الأمر. خرج الدكتور سعيدا بنظافته وتخلصه من الشعور المقزز. حريص على وضع كمامتين وارتداء جوانتي كي لا تنتقل له العدوى. بمجرد وصوله غرفته. سمع صرخات متتالية. وشخص يسب الله ويسب الدين. هاله ما سمعه فخرج يستطلع الأمر. أخبرته ممرضة أنه شخص جاء منذ يومين مصابا في حادث. ومصاب بالكورونا. وبالتالي دخل العزل حتى استقرار حالته. وهو يحصل على منومات مستمرة. لكنه يصرخ هكذا كلما استيقظ. لم يستوعب الدكتور ما يقال. مصاب في حادث؟ من البديهي عمل أشعات للتأكد من عدم وجود كسور. ذهب إليه يستوضح الأمر. وجد الرجل راقدا على الفراش غير قادر على الحركة. ورائحة الغرفة لا تطاق لأنه موصل بأنابيب إخراج الفضلات من جسده. بمجرد أن رآه الرجل صاح بغضب:

الكفرة. أشعر أن وسطي مكسور. وهم يرفضون الكشف علي . أين الله الذي تطلبون منا أن نعبده. أيها الكفرة. الألم لا يحتمل. أنقذووووووني. يا كفرة. اللعنة عليكم يا أولاد العاهرات.

خرج الدكتور سعد متعجبا بشدة. قبل عودته إلى غرفته. شاهد منظرا بشعا لشخص يسير بصعوبة بالغة نحو الحمام. قدمه اليمنى حتى ركبته زرقاء تماما. تنزل منها بعض الإفرازات. سأله عما به. فأخبره أنه دخل العزل منذ أربعة أيام وكان مجروحا من زجاجة جرحا كبيرا. لكنهم أخبروه أن الأولوية للكورونا. لم يصدق عينيه. عاد إلى غرفته يضرب أخماسا في أسداس. وهو مصمم على طلب اجتماع عاجل لمجلس الجامعة لمناقشة هذه المهازل. في الغرفة وجد شابا يقوم بغسيل الأرض بمياه وبعض الرغاوي. سأله مباشرة:

أين الكلور ومواد التعقيم؟

ارتبك الفتى وسأله بتعجب:

حضرتك بتشم يا بيه؟!

يا اولاد الكلب. بتستغلوا ان الكورونا بتضيع الشم وتسرقوا حتى الكلور؟

ياباشا أنا مليش ذنب. أنا عبدالمأمور.

بغضب بالغ أخرجه من غرفته. وجلس الدكتور سعد على هاتفه يتحدث مع الجميع يشكو ما يحدث. قبل نهاية اليوم. كان دكتور متخصص عنده من المستشفى. بكشف صوري طلب منه الخروج في نفس اليوم. دون أن يعقب. كان سعيدا جدا بالخروج من هذا الجحيم قبل أن يصبح مجرد حالة خرجت ميتة من عنبر التعذيب.

قبل أن يخرج من المستشفى. حدثه الطبيب للمرة الأخيرة:
أنت فعلا غير مصاب بالكورونا. لكن يجب أن تعزل نفسك أسبوعين.
لأنك كنت مخالطا مباشرا في عنبر العزل!!

2020-7-13

****

تم بحمد اللّه

محتويات الكتاب

إهداء.....5

دوائر مُتحركة..... 7

نادية 13

الكوبري الحديدي القديم.....17

ومن الشّوق رسولٌ بيننا.....21

حاول تفتكرني.....25

الشيخ العاشق.....29

حتى الجراح ستبتسم.....37

العبقري 42

أنثى العنكبوت.....46

حكاية سيد بك قشطة.....51

الجزار.....55

الضائعة.....60

مذهب الإمام رامي.....65

الصّفقة.....70

الأستاذ الدكتور.....75

الأستاذة الدكتورة.....80

رئيس القسم.....83

المُنْحَرِفة.....88

شبح الدكتورة ندا.....93

القدّيس.....98

لا أحب شيرين.....102

كورونا بالسُّكّر والمكسّرات.....107

الوَغد 112

الطُّعم.....115

النّحيف الكئيب.....120

المعسكر.....126

عشية انقطاع الأنفاس 132

لا يوجد مكان.....136

عنبر العزل.....139

محتويات الكتاب.....145

قلوب مسجونة

مجموعة قصصية

إيهاب بديوي

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com